المبحث الأول: إشكالية الدراسة وتساؤلاتها

ظهراللباس منذ أن خلق الإنسان، حيث دعت إليه الأديان وتجاوبت معه الطبيعة البشرية، فأصبح يلازم الفرد طوال حياته، فتغير بمرور الحضارات وتعاقب الأجيال وتسارع الأحداث والمتغيرات، واختلف من مجتمع لآخر حيث أصبح يميز منطقة عن أخرى ويعبر عن تراثها وعاداتها، وعرف أكثر تغيير مع التطور العلمي والصناعي .واحتل اليوم مكانة هامة في المجتمع وحياة الفرد باعتباره أول ما يلاحظ على الشخص، فبالإضافة إلى انه يميز ثقافة منطقة أو مجتمع عن الآخر، فهو أيضا يحدد شخصية الفرد وانتماءه ومكانته الاجتماعية ومستواه المعيشي، الذي يتميز به عن باقي الأفراد الآخرين في المجتمع الواحد، حيث تتطلب الحياة الاجتماعية عامة، العناية بالمظهر لما للملابس من اثر نفسي واجتماعي ، على الفرد الذي يرتديها والآخرالذي يراها. فموضوع الملابس والثياب ذو شقين «الأول يتعلق بالذوق والفن والثاني تحكمه قواعد اجتماعية صارمة وما من شك أن كل الحضارات تلتقي عند تلك القواعد بالرغم من اختلاف الزمان والمكان واختلاف تقاليد الناس وأذواقهم [1]»

فالتواصل بين الأفراد والمجتمعات لا يكون فقط عبر الرموز والإشارات والكلمات وإنما أيضا هناك التواصل عبر اللباس وبطبيعة الحال لكل منطقة لباسها الذي يميزها عن باقي المناطق وتعتبر ولاية الجلفة من أشهر ولايات الوطن التي تتمتع بأنواع عدة من الألبسة التي تميزها كالبرنوس والقشابية بالنسبة للرجال والزي التقليدي أو الملحفة، الجبة النايلية والزمالة والمدور بالنسبة للنساء وغيرها من الألبسة التي تشتهر بها ولاية الجلفة.

ونحاول في هذه الدراسة الانثروبولوجية التعرف على مختلف أشكال اللباس التقليدي الذي يميز ولاية الجلفة وبالأخص تحديد البعد الإتصالي لها محاولين تطبيق هذه الدراسة على عينة من الألبسة التقليدية للتعرف على تاريخها والأهمية التي تحضى بها لدى أبناء المنطقة, وهذا مايقودنا إلى طرح الانشغال الآتي:

فيما يتمثل البعد الإتصالي للباس التقليدي في ولاية الجلفة ؟

ويندرج تحت هذا التساؤل مجموعة من الأسئلة الفرعية:

1. ماهي أشكال الإتصال؟
2. ماهي أشكال اللباس التقليدي في ولاية الجلفة؟
3. ماهي علاقة اللباس التقليدي في ولاية الجلفة بمتغير الجنس؟

[1] عبدالرحمان يحي الحداد، آداب السلوك في المجتمعات الغربية (ط1، عمان: دار الشروق،1995)، ص37

المبحث الثاني: فرضيات الدراسة

لكل منطقة عاداتها وتقاليدها التي تميزها عن باقي مناطق الوطن, ويرجع اهتمام أفراد المجتمع في منطقة الجلفة باللباس التقليدي إلى رغبتهم في التمسك بعاداتهم وتقاليدهم والمحافظة على الإرث الحضاري لآبائهم وأجدادهم, وهذا مايبعث فيهم روح الإحساس بالتميز عن الآخرين عبر لباسهم الذي يعبر عن هويتهم.

الفرضيات الجزئية:

الفرضية الأولى:

اهتمام أبناء منطقة الجلفة بإرتداء الزي التقليدي لإرضاء أنفسهم ولفت انتباه وإعجاب الآخرين وفق قيم وتقاليد المجتمع.

الفرضية الثانية:

يعتبر اللباس التقليدي من أهم العوامل المباشرة المساعدة على نشر ثقافة التواصل عبر اللباس بين مختلف المدن والعواصم.

الفرضية الثالثة:

يعتبر اللباس التقليدي لمنطقة الجلفة النافذة التي يعبر منها أبنائها على هويتهم وثقافتهم اللباسية.

الفرضية الرابعة:

الإتصال غير اللفظي أحد الأشكال الأساسية في التواصل عبر اللباس.

المبحث الثالث: أسباب اختيار الموضوع:

تتمثل أسباب اختيارنا لموضوع التواصل عبر اللباس إلى عدة أسباب منها:

أ –أسباب ذاتية:

- رغبتنا الجامحة في التعرف على مختلف أشكال اللباس التقليدي في ولاية الجلفة
- أيظا رغبتنا في معرفة ما إذا كانت الألبسة التقليدية التي تركها آبائنا وأجدادنا هي محل اهتمام أبناء المنطقة.
- محاولة التعرف على الدلالة الإتصالية للباس
- وخصوصا إذا مازالت كلها موجودة وترتدى إلى وقتنا هذا.

ب –أسباب علمية:

- النقص الذي إلتمسناه في هذا النوع من الدراسات الانثروبولوجية بل هي تكاد منعدمة كليا أو على الأقل في ولاية الجلفة.
- المساهمة بدراسة علمية لإثراء الرصيد الفكري والمعرفي للطالب.
- أهمية موضوع كل ماهو تقاليد وموضوع اللباس التقليدي في حياة الفرد والذي يسعى من خلاله إلى التميز عن باقي الفئات الأخرى من المجتمع، مما أدى بهم إلى خلق ثقافة يحاولون ترسيخها، ويحدد الفروق الشخصية بين الأفراد والجماعات ونوعية العلاقات السائدة بينهم.
- التعريف بنوع هام من أنواع الإتصال في حياة الإنسان ألا وهو الاتصال الصامت

المبحث الرابع: أهداف وأهمية الدراسة

نسعى من خلال دراستنا للباس التقليدي بولاية الجلفة إلى المساهمة بدراسة علمية أنثروبولوجية لإثراء الرصيد المعرفي والعلمي في هذا المجال.

كشف حقيقة اللباس التقليدي وتوضيح الأبعاد والدلالات النفسية والجمالية والاجتماعية والإتصالية والاقتصادية والثقافية التي يرمي إليها من خلال القيم والمعايير الاجتماعية التي تم إنتاجها والرموز والمعاني التي يحملها ويرمي إليها باعتباره مجال حيوي مهم في حياة الأفراد لا يمكن الاستغناء عنه.

وبهذا نرجو أن تكون هذه الدراسة منطلقا لدراسات أخرى علمية تبحث في موضوع اللباس التقليدي وتطبيقها على دراسة أنثروبولوجية لأنها هي الأنسب للبحث في موضوع التقاليد للمساهمة في التعريف بالموروث الحضاري الذي تزخر به منطقة الجلفة وتوضيح القيمة والخصوصية التي يحضى بها اللباس التقليدي لدى أبناء المنطقة والمساهمة أيضا في معرفة الجانب التاريخي لكل عينة من اللباس والتعريف بها والتعرف على الأهمية التي يوليها السكان لهذا النوع من اللباس. ان الحاجة الى الدراسات و البحوث و التعلم لهي اليوم أشد منها في أي وقت مضى .فالعلم و العالم في سباق للوصول الى اكبر قدر ممكن من المعرفة الدقيقة المستمدة من العلوم التي تكفل الرفاهية للانسان ، وتضمن له التفوق على غيره .

واذا كانت الدول المتقدمة تولي اهتماما كبيرا للبحث العلمي فذلك يرجع الى انها ادركت ان عظمة الامم تكمن في قدرات ابنائها العلمية و الفكرية و السلوكية . والبحث العلمي ميدان خصب ودعامة اساسية لاقتصادالدول وتطورها وبالتالي تحقيق رفاهية شعوبها

و المحافظة على مكانتها الدولية . وقد اصبحت منهجية البحث العلمي واساليب القيام بها من الامور المسلم بها في المؤسسات الاكاديمية و مراكز البحوث ، بالاضافة الى انتشار استخدامها في معالجة المشكلات التي تواجه المجتمع بصفة عامة ، حيث لم يعد البحث العلمي قاصرا على ميادين العلوم الطبيعيةوحدها .

طبيعة البحث العلمي

موضوع البحث العلمي يقوم اساسا على طلب المعرفة وتقصيها و الوصول اليها ، فهو في الوقت نفسه يتناول العلوم في مجموعها ويستند الى اساليب و مناهج في تقصيه لحقائق العلو م . والباحث عندما يتقصى الحقائق و المعلومات انما يهدف الى احداث اضافات او تعديلات في ميادين العلوم مما سيسفر بالتالي عن تطويرها وتقدمها.

اهمية البحث العلمي للطالب :

ان البحوث القصيرة التي يكتبها الطالب في المدرسة انما الغاية منها تعويد الطالب على التنقيب عن الحقائق واكتشاف آفاقا جديدة من المعرفة و التنعبير عن آراءه بحرية وصراحة . ويمكن تلخيص الاهداف الرئيسية لكتابة الابحاث الى جانب ما ذكر في:

-1اثراء معلومات الطالب في مواضيع معينة.

-2الاعتماد على النفس في دراسة المشكلات واصدار احكام بشأنها.

-3اتباع الاساليب و القواعد العلمية المعتمدة في كتابة البحوث.

-4التعود على استخدام الوثائق و الكتب ومصادر المعلومات والربط بينهم للوصول الى نتائج جديدة.

-5التعود على معالجة المواضيع بموضوعية ونزاهة ونظام في العمل.

-6التعود على القراءة وتحصين النفس ضد الجهل

المبحث الخامس: تحديد مفاهيم ومصطلحات الدراسة:

اللباس لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور :
اللبس : بالضم، مصدر قولك لبست الثوب واللباس ما يلبس...وثوب لبيس إذا كثرلبسه[1]

1. لَبّاس:(اسم)

رجل لَبَّاس :كثيرُ اللِّبَاس

2. لِباس: (اسم)

الجمع : أَلْبِسَةٌ ، و لُبُس
اللِّبَاسُ :لِبْس ؛ ما يستر الجسمَ ، أو ما يُلْبَس من كسوة : أن كليهما يمنع الآخرَ عمَّا لا يحلّ ، فكما يمنع اللباسُ الحرَّ والبرد فكذلك كلّ منهما يمنع الآخرَ ويستره عن الفاحشة
ولِباسُ كلِّ شيء : غِشاؤه
لِباسُ النَّوْر : أَكِمَّتُه
(لِباس التَّقوى) : الإيمانُ ، أَو الحياءُ ، أَو العملُ الصالح
لباس الجوع والخوف : الآلام[2]
اصطلاحا: جاء في قاموس أسماء الملابس عند العرب: ألبسة جمع لباس، يعني في كل البلدان العربية الملابس (l'habillement) إلا انه في مصر وما لا نجده في البلدان الأخرى يعني الملابس الداخلية (caleçon) كما يسمى أيضا سراويل سواء في ملابس الرجال أو النساء[3]
وتعرف الدكتورة علية عابدين الملابس : بمعنى(clothes) هو الشيء المنسوج من الشعر أو الصوف أو القطن أو جلد الحيوان أما ملبس (clothes) فهي تعني الملابس التي تغطي الجسم كله بأنواعها المختلفة الداخلية والخارجية ومكملات الزينة (الإكسسوارات)[4]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب المجلد الثاني عشر (ط2، لبنان: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي،1993) ، ص223
[2] معنى اللباس في معجم المعاني الجامع – عربي عربي -http://www.almaany.com/ar/dict/ar .
[3] R .Dozy, Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes. Bierut : librairie du Liban – Riad solh squar, p395.
[4] علية عابدين، دراسات في سيكولوجية اللباس.(ط 1 ،مصر : دارالفكرالعربي، 1996)، ص41

مفهوم التقليدي: غالبا ما يستعمل مفهوم ما هو تقليدي، في عده تخصصات و بمضامين متفاوتة المعنى، غير أنه يمكن التأكيد على أن المعنى الأكثر اتفاقا بين مختلف التوجهات، هو "التوافق مع القواعد و المعايير المرتسمة اجتماعيا"و"الانخراط في النظام الخصوصي للمجتمع و لثقافة معينة". إن التقليدي – حسبما يرى بالولنديي– ' يسير و يدخل في الوعي الجماعي و الفردي، و في مجال العلاقات التأسيسية للحياة الاجتماعية[1]

القيم (Les valeurs) هي اعتقاد مكتسب، طويل الأمد نسبيا، بان نمطا معينا:

من السلوك، أوغاية ما محببة ذاتيا أو اجتماعيا، بالمقارنة مع سلوك مخالف أو غاية مخالفة، فالقيمة إذا تسويغ وتبرير لطريقة معينة من السلوك أو التفكير، وهي المرئي من الدوافع الداخلية والخبرة[2].

يقول دوركايم: إننا لسنا سادة تقويمنا فنحن مقيدون، ملزمون، ومجبرون، والذي يقيدنا ويلزمنا ويجبرنا هو الضمير الاجتماعي.

المعايير (Les normes) هي المقاييس المرسومة والواصفة والتي تحدد طرق:

السلوك وترسمه.[3] فالمعاييرهي نتيجة لعوامل خارجة عن إرادة الفرد تنتج وفق ما يسود المجتمع من آداب وتقاليد وأعراف وقيم.

لفت انتباه وإعجاب الآخرين: بمعنى الصورة الرمزية والجمالية التي يعطيها

الطالب عن نفسه للآخرين منها انتماءاته الاجتماعية والطبقية والثقافية. والأخر بمعنى الفرد والمجتمع، أي علاقته بالأخر الذي يشبهه ويختلف عنه.

الهوية (L'identité) هي حصيلة لمجموعة من انساق العلاقات والدلالات التي:

يستقي منها الفرد معنى لقيمته، ويضع لنفسه في ضوئها نظاما يشكل في إطاره هويته بحيث تتوفر له من جراء ذلك إمكانية تحديد ذاته داخل الوسط السوسيو ثقافي باعتباره نظاما مرجعيا على المستوى السلوكي.

التعريف الإجرائي للهوية : وتعني من جهة ما هو خاص بي واعرف به بالنسبة لآخرين، وهي مرتبطة دائما بالرموز التي بها نعلن تشابه الأفراد جماعة معينة لهم نفس الخصائص وفي نفس الوقت اختلافنا لأفراد آخرين[4].

---

[1] Balandier Georges : Anthropo –logiques. Librairie générale française 1985. P 222

[2] غسان منير سنو، القيم والمجتمع (نظام القيم السائدة عند طلبة الدراسات الشرعية في بيروت(ط1، بيروت: دار صادر، 1997)، ص 15.

[3] نفس المرجع، ص 33 .

[4] مصطفى حدية، التنشئة الاجتماعية والهوية (دراسة نفسية اجتماعية للطفل القروي المتدرس ، ترجمة محمد الشيخ(المملكة المغربية: منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية ، 1996) ،ص 25 .

التقاليد: اعتاد دارسو الفولكلور الأوائل ألا يدققوا في البحث عن فروق دقيقة بين مفهومي العادة والتقليد، وكثيراً ما كانا يعدان مترادفين. وكان فريق من الفولكلوريين الأوائل يعدون التقليد عادة ميتة، فقدت معناها، وباتت تمارس دون وعي بمدلولها، وتشيع وسط الدوائر الأكثر بساطة أو «تخلفاً».

والتقاليد هي عبارة عن مجموعة من قواعد السلوك التي تنشأ عن الرضا والإتفاق الجمعي وهي تستمد قوتها من المجتمع، وتحتفظ بالحكم المتراكمة وذكريات الماضي التي مر بها المجتمع، يتناقلها الخلف عن السلف جيل بعد جيل، والتقليد هو أسلوب المجتمع في إحتواء العادات النافعة والأثار والبقايا.[1]

واتجه البعض – في العقدين الأخيرين – إلى إسناد مكانة أعلى للتقليد، وقدرة على توجيه العادة، بحيث جعلوه قريباً مما نسميه اليوم القيمة أو المعيار. وقد قبل هذا الفريق – ضمناً أو صراحة – تعريف التقليد كقوة معيارية، وكظاهرة تتطلب الامتثال الاجتماعي، فهي في ذلك رائدة للقانون. ومن هنا يأتى تعريف فيكمان للتقليد بأنه ذو طبيعة معيارية، يستمد سلطته رأسياً (أي تاريخياً) وأفقياً (أي اجتماعياً).

ولكن فولكلوريّ القرن التاسع عشر والثلث الأول من العشرين لم يقتصروا على هذه الرؤية البريئة المنزهة عن التحيز. وإنما نظروا إلى التقاليد بوصفها قوة الاستمرار لكل ما هو أخلاقي وسليم..إلخ. ولأن التقليد ليس شيئاً ملموساً كالعادة– لأنه ليس فعلاً وليس مقرراً كالقانون– فاعتبر أنه لابد وأن يكون مستمداً قوته وسطوته من مصدر خارج البشر، ومتمتعاً بقوة تفوق قوة الفاعلين الاجتماعيين، إنه بمسمى آخر: «السنن الأخلاقية». والنتيجة الطبيعية لهذا التصور النظري أن التقليد عنصر دائم غير قابل للتغير، وأنه مرادف للثبات والاستمرار في حياة الجماعة.

ولكن العلوم الاجتماعية القريبة من علم الفولكلور – كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا – لم تول اهتماماً للتمييز بين العادة والتقليد، على نحو ما نجد في كتابات ماكس فيبر، وفرديناند تونيز، وتيودور جايجر، وجورج هومانز وغيره فيما بعد. وأولوا اهتمامهم لتناول العادات والتقاليد في إطار العادات الفردية والسنن الأخلاقية، والموضات...إلخ.

ومؤخراً – خلال النصف الثاني من القرن العشرين – تجدد اهتمام علم الفولكلور بالتفرقة بين العادة والتقليد، كثمرة من ثمار اتصال الفولكلوريين الوثيق بعلوم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا. ويمكننا أن نميز في إطار هذه المناقشات المنهجية بين تيارين رئيسيين: يتبنى أولهما مفهوم الفعل الاجتماعي، ويعتمد ثانيهما على نظريات الاتصال. فالعادات «وقائع اجتماعية، ورموز، وصور تتجلى فيها جوانب الحياة الاجتماعية للجماعة»، ويمكن تفسيرها في ضوء المتغيرات البنائية والوظيفية[2].

---

[1] عبد الحميد أحمد رشوان، المجتمع دراسة في علم الإجتماع،(ط2، مصر:المكتب الجامعي الحديث،2002)ص201

[2] لباس المرأة العربية بين التقاليد الإجتماعية والتفاعل الإجتماعي،مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد 29، http://www.folkculturebh.org/ar/index.php?issue=29&page=showarticle&id=541

الأنثروبولوجيا والأثنولوجيا والأثنوغرافيا:

لقد علمنا أنّ الأنثروبولوجيا هي العلم الذي يدرس الإنسان ككائن اجتماعي ويشمل موضوع الدراسة جميع ظواهر الحياة الاجتماعية دون تحديد زماني أو مكاني, أما الأثنولوجيا فهي العلم الذي يدرس الأجناس والسلالات البشرية نشأتها, خصائصها, نموها, تطورها, العوامل التي خضعت لها في هذا التمايز وما هي الخصائص والمميزات السلالية والثقافية التي على ضوئها صنفت الشعوب ومتى ترد الإنسانية إلى جنس واحد أي(علم تصنيف الشعوب والمجتمعات على أساس خصائصها ومميزاتها السلالية والثقافية كما يسميها العالم *برنشارد*) أما الأثنوغرافيا فهي الدراسة الوصفية للمجتمعات الإنسانية وبخاصة المجتمعات البدائية أو التي لا تزال في مراحل متميزة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وفكرياً وأكثر من اشتهر بهذا العلم هم العرب فمن منا لم يسمع بابن بطوطة أو الإدريسي أو المسعودي إنّ علم

الاثنوغرافيا هو المصدر الذي يجهز الإثنولوجيا بالمعلومات عن الشعوب والمجتمعات الصغيرة الحجم, أما الارتباط والعلاقة بين الثلاثة فكما ذكرنا الاثنوغرافيا تزود الأثنولوجيا بالمعلومات الوصفية عن المجتمعات الصغيرة البدائية والأثنولوجيا تشترك مع الأنثروبولوجيا في دراسة حضارة الإنسان وتمايزها من مجتمع للآخر وما هي الطرائق التي يستجيب بها الإنسان لهذا التمايز وما هي العناصر التي تشكل حضارة كل مجتمع وما هي عوامل انتشارها من مجتمع لآخر بالتثاقف أم بالهجرة أم بالغزو أم بالتجارة أم بالتبادل ...إلخ وكيف تنتقل من جيل لآخر في نفس المجتمع.[1]

[1] شاكر حسين لخشالي، الأنثروبولوجيا وتنمية المجتمعات، الأكاديمية العربية المفتوحة بالدانمارك، كلية الآداب والتربية قسم علم الإجتماع، ص14

المبحث السادس: منهج الدراسة وأدواته

المنهج هو الطريق الذي يتبعه الباحث للوصول إلى الحقائق العلمية وعلوم الإعلام والاتصال من بين العلوم التي تعتمد على عدة مناهج وهذا راجع لطبيعة مواضيعه وتنوع تخصصاته .وعليه يقول ميشال بود (Michel Beaud) ليس هناك أطروحة دون منهج ودون منطلق منظم، هذا المنطلق يكون مرتبط ومتعلق بميدان البحث والموضوع ».

أ) المنهج الميداني : تندرج دراستنا في إطار المنهج الميداني وهو من أكثر المناهج استعمالا في علوم الإعلام والاتصال وأكثرها دقة وعلمية ويختلف العلماء في تسمية هذا المنهج فهناك من يسميه منهج المسح الاجتماعي ويستعمل هذا المنهج في دراسة الظواهر الراهنة وهو « أسلوب لتقرير أو بحث وضع اجتماعي، حاضر في إقليم محدد، يهدف للحصول على بيانات معينة، ومقارنتها ببيانات أخرى من نفس النوع، بهدف الاستفادة من هذه البيانات بعد تحليلها وتفسيرها في عمليات التخطيط الاجتماعي على المستوى المحلي والقومي »

ويعرفه محمد الهادي على انه «يمثل القيام بالدراسات التفصيلية المنظمة لتقرير وتحليل وتفسير الوضع الحالي لظاهرة أو نظام أو حالة معينة . وبذلك يستهدف المنهج المسحي أوالميداني إلى الحصول على معلومات مفصلة ودقيقة عن الوضع الحالي . ويمكن تصنيف المعلومات المستمدة من إتباع المنهج المسحي وتفسيرها وتعميمها حتى تعم الاستفادة منها في التخطيط المستقبلي » ويسمح بفهم طبيعة الحياة الاجتماعية من خلال دراسة ثقافة وسلوكات واتجاهات واهتمامات الجماعات وتقاليدها وعادات الاستهلاك لديها...الخ، وبما أن هذا المنهج يعتمد على جمع البيانات من مجموعة من الأفراد داخل جماعة أو مجتمع معين من خلال الاحتكاك المباشر بهؤلاء الأفراد ومن خصائصه انه يستعمل معظم التقنيات المعتمدة في علوم الاعلام فهوما يسم حللباحث بالاعتماد على أكثر من تقنية تناسب موضوع البحث وخصائص مجتمع البحث. ونظرا إلى أن هذا النوع من المناهج يستعمل لدراسة مجموعة كبيرة من الأفراد وهو ما يصبح شبه مستحيلا للاتصال بكل المبحوثين، باستثناء ما تعلق بالحكومات التي تمتلك الوسائل المالية والبشرية لهذا يعتمد هذا المنهج على المعاينة وذلك بانتقاء جزء يمثل كل المجتمع بطريقة علمية للوصول في الأخير إلى فهم وتفسير الظاهرة المدروسة ومعرفة أسبابها.[1]

[1] قيطون أحمد ، المنهج الأنثروبولوجي الدراسة : طرق وأدوات وإشكالات، مداخلة مقدمة ضمن الملتقى الوطني الأول في الإتجاهات الحديثة في دراسة اللغة والأدب يومي26-27 أكتوبر 2011، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة

ولا زال النقاش الابيستمولوجي حول منهجيات البحث في العلوم الاجتماعية و الإنسانية غير مفصول فيه بعد، ولهذا تبقى مرحلة الحسم في الخيارات المنهجية لدى الباحث من اعقد المراحل، لأن الباحث يكون مرغما على الحسم في خيار منهجي يكون الأقرب إلى الإجابة عن إشكالية البحث وفي أحيان كثيرة تكون الخيارات صعبة، غير أن اختيارنا تم من منطلق الاقتراب من الفاعلين، أي من منتجي المعاني .وهذا الإشكال تحدث عنهجورج بالونديي Balandier Georges ،الذي يدخل فيما اسماه "أزمة المناهج"، مركزا انتقاده على "المناهج الكمية"، التي تستعمل الكثير من التقنيات من أجل نتائج ليس لها مفعول كبير في فهم المجتمع، لذلك دعا بالونديي إلى علم اجتماع يتم مع الفاعلين، وهو ما سعينا للقيام به في هذه الدراسة.ورغم أن الاتفاق في المنهجيات لم يحدث وأن تم الحسم فيه في مجال علم المعرفة الخاص بمنهجية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، إلا أن المتفق عليه هو أن المقاربة المنهجية لا يمكن أن تنشأ من فراغ نظري، وهو ما يِركز عليه مثلا(سيكوريل A.Cicourel (بقوله: "إن كل خيار أو حسم في مجال الأبحاث الاجتماعية يجب أن يكون له مقابل نظريا ومفاهيميا". وقد تم الحسم في هذه الدراسة لصالح المقاربة الأنثروبولوجة الاتصالية كإطار نظري لمنهج الدراسة من أجل الوصول إلى تفكيك الإشكالية[1] . ونعتقد أن هذا الخيار المتبع هو الأقرب إلى الواقع الفعلي للفاعلين الاجتماعيين في الوضعيات المختارة لدراسة،مبتعدين بذلك عن المقاربات المنهجية التي شكلت مجال انتقاد رواد علم الاجتماع المعاصر، كما هو الشأن مثلا بالنسبة لبلومر Blumer أحد رواد التفاعلات الرمزية الذي انتقد بشدة لجوء الباحثين في العلوم الاجتماعية إلى وضع الثقة العمياء في الأدوات الإحصائية المتطورة و بناء النماذج الرياضية، وهو ما يذهب إليه أنصار الدراسات الكمية. لقد تحدث Sherzer Joel الذي يعتبر من أوائل طلبة Hymes Dell، عن ضرورة أن " تكون لأنثربولوجيا الاتصال إمكانية تكوين أفراد يكونون قادرين على القيام بأبحاث حول مجتمعا تهم الأصلية، كباحثين ومحللين محليين، كمشاركين وملاحظين محليين".وتساهم المقاربة الأنثروبولوجة في مجال هذه الدراسة في تجاوز ما أسماه الفيلسوف)أندريه أكون André Akounبحدود التوجه الامبريقي، والذي يرى أنه إذا ما اعتمد في الدراسات الاتصالية، لا يمكن إلا أن يعيد إنتاج أدبيات مهندسي الاتصالات الذين يختصرون مسار الاتصال في مخطط: مرسل- رسالة- مستقبل-آثار على حد قوله.و المقاربة التي اخترناها كما سنرى فيما يأتي لاحقا، هي الأقرب إلى إشكالية الدراسة، بالإضافة إلى أ نها تتماشى مع انشغال ثقافي تتبناه مقاربة انثروبولوجيا الاتصال، ومن أجل تحقيق الأهداف التي رسمناها فيما سبق، استعملنا المسح الشامل للوثائق و الكتب التي تناولت بالدراسة منطقة الجلفة كما سيأتي ذكر ذلك بالتفصيل فيما يأتي من الدراسة، وهي الطريقة التي يصطلح عليها بعض المتخصصين بالمنهجية بأنه منهجا مسحيا .كما استخدمنا المنهج التاريخي من خلال الاطلاع على الوثائق التاريخية المختلفة الخاصة بتاريخ منطقة ا لجلفة. ويعرف المنهج التاريخي من قبل Maurice Angersعلى أساس أنه عملية "إعادة بناء الماضي، بتفحص أحداثه انطلاقا أساسا من الوثائق والأرشيف "[2]

[1] أحمد قيطون، المنهج الأنثروبولوجي للدراسة، مرجع سبق ذكره

[2] رضوان بوجمعة، أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر،2007-2006،ص26-29

ميدان الدراسة و أدواته1:

إن الانتقال إلى الميدان هو أكثر من ضروري في مثل هذه الأبحاث، لكن هذا الانتقال ليس مسألة هينة من الناحيتين العملية و حتى النظرية، لأن الميدان يحمل الكثير من الضغوط، غير أنه لا يمكن تجاوز هذا لأنه لا يمكن تصور أنثروبولوجيا للاتصال بدون الاحتكاك بوضعيات مختلفة، و ضعيات ستكفل ضمان تراكم معرفي يساهم في إثراء هذه ا لمجالات البحثية الهامة التي تبقى نادرة في السياق الجزائري، فرغم تنوع الوضعيات الثقافية فـي المجتمع، لا زالت رقعة الجهل بالمعرفة الاجتماعية العلمية للمجتمع الجزائري تتسع، وهو إقرار يعتنقه اليوم الكثير من الباحثين في العلوم الاجتماعية في الجزائر .إن وضع الباحث في علوم الاتصال أعقد من غيره من التخصصات، حسب ما يراه ريمون وليامس Williams Raymond الذي أكد أن الباحث في علوم الاتصال يمكنه أن يتخذ عدة أشكال في البحث حسب تخصصه، لذلك يمكن أن يكون ملاحظا في بعض الأحيان عندما يتعلق بملاحظة تطور المؤسسات و أثارها في إطار علم الاجتماع، قد يكون مهندسا في اهتمامه بالتكنولوجيات و الأنساق الخاصة بالإدراك و الفهم و الرقابة، ويصبح في أحيان أخرى متخصصا في الثقافة، مهتما بالمعنى و القيمة، معنى هذه الأشعار أو تلك وقيمتها الاتصالية، أو قيمة و معنى اللباس و الجرائد و الأفلام ، و قد يصبح مهتما بعلم النفس بدراسته لنماذج معقدة و مركبة للاتصال الشخصي، و أخيرا قد يكون فيلسوفا ولغويا، عندما يتحدث عن بنيات الكلام و الاتصال. ما يقوله ويليمس نعتقد انه يشرح جيدا تعقيدات دراستنا، وتشعبها المتعدد التخصصات، وهو حال الكثير من الباحثين في مجال أنثروبولوجيا الاتصال. وقد أكد ايف وينكن في إحدى دراساته على صعوبة الميدان، مؤكدا على ضرورة تنويع ميادين الدراسة الأنثروبولوجية .[1]

وهذه الدراسة تحتاج إلى أدوات وأساليب نحاول أن نبين بعضها،والتي هي تقريبا متشابهة بين جل الباحثين الذين وقفنا على أبحاثهم، لذلك فطرق البحث كثيرة ومتنوعة، إذ كل ميدان منوطة به وسيلة معينة ومنهجية خاصة.

1-**الملاحظة**:

تعد الملاحظة من الأدوات البحثية التي يمكن استخدامها للحصول على بيانات تتعلق ببعض الحوادث والوقائع، ويفضل استخدام الملاحظة كأداة بحثية على غيرها من الأدوات وخاصة عند ما تكون ممكنة حيث يتم فيها تحديد ما هو مطلوب التركيز عليه وتدوين ما يراه الباحث أو ما يسمعه بدقة تامة.

والملاحظة الجيدة تتم باستخدام وسيلة صادقة تتضمن التدوين الدقيق أو الرصد في مواقف فعلية من قبل شخص مدرب لديه اتجاهات إيجابية نحو البحث العلمي ولديه أمانة علمية.

ولذلك تعد الملاحظة أداة بحثية من أكثر الأدوات دقة وأقلها تحيزاً إضافة إلى أنه يمكن تسجيلها وتصويرها على أشرطة سمعية ومرئية.

ولكي تتم الملاحظة بشكل جيد وصحيح لا بد من مراعاة ما يلي:

أ- تحديد مجال الملاحظة أي ما يريد الباحث ملاحظته.

ب- تحديد مكان وزمان الملاحظة.

ج- تدوين مجريات الأمور بدقة وفي الوقت المناسب وعدم الإكثار من العناصر المراد ملاحظتها دون ضرورة وعدم تأجيل تسجيل ما يلاحظ.

د- إعداد مسبق لصحيفة الملاحظة ليتم تسجيل البيانات التي يلاحظها الباحث، أو أنماط السلوك المتوقع ملاحظته.

ويمكن تصنيف الملاحظة إلى أنواع وأشكال مختلفة حسب الأساس الذي يعتمد للتصنيف، فالملاحظة قد تكون مباشرة حين يقوم الباحث أو جامع البيانات بملاحظة سلوك معين من خلال اتصاله مباشرة بالأشخاص أو الأشياء المراد دراستها، وقد تكون غير مباشرة حين يقوم الباحث أو جامع البيانات بجمع البيانات من مصادر ثانوية كالمراجع والسجلات والتقارير والمذكرات التي أعدها الآخرون.[2]

---

[1] رضوان بوجمعة،أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل،مرجع سبق ذكره، ص،30،31

[2] سهيل رزق دياب،أستاذ المناهج وطرق التدريس بجامعة القدس المفتوحة، مناهج البحث العلمي، غزة فلسطين، مارس 2003 ص50

وفي مجال الأنثروبولوجيا يعتمد الباحث على **الملاحظة بالمشاركة** وهي:
مشاركة الباحث في الأنشطة الإجتماعية التي يمارسها أعضاء المجتمع قيد البحث ومن خلال تلك المشاركة يدرس ثقافتهم.
شروط نجاح الملاحظة:

- أن تسبقها مرحلة تخصص ودراسة نظرية كافية في الأنثروبولوجيا عامة والعلوم الإجتماعية وخاصة علم الإجتماع.
- معايشة الباحث فترة كافية لأفراد المجتمع موضوع الدراسة .
- أن يكون الباحث طوال فترة الملاحظة على صلة وثيقة بالأهالي ويتم ذلك عن طريق اشتراكه في معظم جوانب حياتهم الإجتماعية.
- على الباحث أن يستخدم في حديثه مع أفراد المجتمع موضوع الدراسة لغتهم الوطنية.
- على الباحث أن يتخلى عن قيمه وثقافته بقدر المستطاع حتى يستطيع تحقيق الملاحظة الموضوعية.
- يحتاج الباحث لمهارة أدبية في نقل وصف وتحليل الثقافة المدروسة إلى لغة الباحث نفسه إذ عليه أن يبين ويشرح معنى الظواهر الإجتماعية والثقافية التي لاحظها.

وقد تعترض الباحث أثناء اعتماده على الملاحظة بالمشاركة بعض العقبات منها:

1 - إن بعض المفحوصين الملاحظين حين يشعرون بأنهم ملاحظون قد يغيرون من سلوكهم ولا يظهرون سلوكا حقيقيا
2 - تتطلب الملاحظة وقتا طويلا فقد ينتظر الباحث فترة طويلة حتى يبرز السلوك الذي يلاحظه وقد تتدخل عوامل وقتية تؤثر على السلوك أثناء الملاحظة وبذلك يكون مايلاحظه الباحث ليس صحيحا.

تحيز الباحث الملاحظ، وهي مشكلة تبني الباحث لمجتمع البحث بكل مافيه بقصد أو بغير قصد، أي أن مجتمع البحث يتجسد في نفس الباحث مما يقلل من الموضوعية أحيانا لدى الباحث سواء من خلال الرضا التام أو حتى المبالغة في وصف الحسنات مثلما فعل بعض الباحثين العرب أثناء وصف مجتمعاتهم أو على العكس المبالغة في وصف السيئات مثلما فعل بعض المستشرقين في المجتمعات العربية.[1]

[1] أحمد قيطون، المنهج الأنثروبولوجي الدراسة: طرق وأدوات وإشكالات، مرجع سبق ذكره

2-**المقابلة**:

ومن اجل إجراء دراسة استطلاعية حول الموضوع والتقرب أكثر من مجتمع البحث تم اختيارنا لتقنية المقابلة التي تعتبر من انجح الوسائل لجمع اكبرعدد ممكن من البيانات الدقيقة على موضوع معين، كما هي من التقنيات الفعالة لمعرفة خصائص مجتمع البحث يعرفها فضيل دليوا : «على أنها دليل يشمل قائمة أو مجموعة من الأسئلة المحددة والمرتبة ترتيبا منهجيا معينا تتضمن عدة مواضيع فرعية ومقصودة تتعلق بموضوع البحث»[1]

ويعتبر أسلوب المقابلة من أهم الوسائل المستخدمة في جمع البيانات الفولكورية أو التراثية وقد يجوزإعتباره أهم أسلوب على الإطلاق نظرا لطبيعة المواد التراثية التي يصعب الحصول عليها بغير استخدام أسلوب المقابلة ولذلك فإن أسلوب المقابلة سيكون من أنجح الأساليب المستخدمة في جمع البيانات الفلكلورية.

هذه إذا بعض الطرق التي يعتمدها الباحثون الأنثروبولوجيون في دراساتهم الميدانية والتي تضمن لهم السمة العلمية لأبحاثهم إن هم تحرو الدقة وتقيدوا بالشروط الخاصة بهذه الطرق ونظرا لأهمية الملاحظة بالمشاركة والمقابلة في البحث الأنثروبولوجي تم اعتمادنا في هذه الدراسة على هاتان الأداتين بالإظافة إلى البحث والتنقيب على الأبحاث السابقة والتقاط الصور المرتبطة بالموضوع.[2]

وقد شملت هذه الدراسة ولاية الجلفة من خلال دراسة انثروبولوجية لعينة من الالبسة التقليدية

من خلال عينة قصدية للباس التقليدي المشهور في ولاية الجلفة والمتمثل في البرنوس والقشابية من خلال التعرف على مختلف المراحل التي تتم في صنع هذا اللباس وكانت فترة مكوثنا بالولاية طيلة شهر ماي وكان لنا احتكاك مع أبناء المنطقة ورغم عزوف بعض الكبيرات في السن وحديثهم الذي كان بالكاد يفهم لدينا إلا أننا استطعنا التعايش و جمع المعلومات من الشيوخ والعجائز وحتى الشباب والشابات

وتم التركيز على منطقة مسعد بإعتبارها مهد الحضارة في ولاية الجلفة وأصل اللباس الجلفاوي أو على الأقل البرنوس والحذاء النايلي حيث تعتبر منطقة مسعد السباقة في هذا اللباس

وسيتم اجراء الدراسة على عينة من الألبسة وهي عينة قصدية وتتمثل خصوصا في

البرنوس المسعدي

الصباط المسعدي

الملحفة

[1] فضيل دليوا وآخرون، أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية. قسنطينة: منشورات جامعة منتوري، 1999 ،ص 190

[2] أحمد قيطون، مرجع سبق ذكره

المبحث السابع: المقاربة النظرية لموضوع الدراسة

أ- نظرية الانتشار الحضاري: تتنوع وسائل الانتشار الحضاري بتعدد أهدافه وبتباين مقاصده وتشكل وسائل التبادل التجاري والاحتكاك الثقافي والحركات السكانية والسفر والهجرات القسرية من أهم تلك الوسائل, فالسفر له أهداف معلومة يتوقف علمها على ما يبغيه المسافر, والانتقال من مكان لآخر فيه تجديد للمعرفة والبحث العلمي والسفر احتكاك بالحضارات وانفتاحاً على الثقافات للعالم الخارجي ونقلاً للتراث الحضاري , ولمهمة السفر منجزات مفيدة بعيدة المدى على المستوى الشخصي والاجتماعي والحضاري, والسفر فيه أخذ وعطاء فالتفاعل مع الأقران والأصدقاء يطلع على علومهم ومخزونهم المعرفي ويفيدهم بعلمه ومخزونه المعرفي.يرى علماء الأنثروبولوجية الاجتماعية أنّ انتشار السمات الثقافية لمجتمع ما قريباً أو بعيداً يساعد على تهيئة الظروف بأحداث التغيير الثقافي أو الانتقال من مرحلة إلى أخرى في المجتمع الذي حلت به تلك السمات وبهذا يرى الانتشاريون أهمية الاتصال الثقافي أو التفاعل بين الجماعات لكي تنتقل السمات الثقافية من مجتمع لآخر وقد قسم الأنثروبولوجيون أفكار وآراء عموم علماء الأنثروبولوجية بهذه الصدد إلى ثلاثة مدارس أساسية: **أولاها** البريطانية وهذه ترى أنّ مصر بأهراماتها وعبادة الشمس من قبل فراعنتها كانت هي المراكز الذي انتشرت منه الحضارة فقلدها العراقيون والمكسيك واليابانيون فيعتقد الانتشاريون أنّ هذه الأبنية الضخمة لا يمكن ابتداع إنشائها بواسطة تلك الشعوب فالناس يميلون للاستعارة أكثر من الابتكار وقد اسند هؤلاء انتشار صناعة النسيج والخزف والفنون ونظم الحكم والإدارة والديانة إلى نفس النظرية , **وثانيتها** الأمريكية فهي تؤيد الانتشار بأنّ فكرة الملامح المميزة لثقافة ما قد وجدت في مركز ثقافي محدد ثم انتقلت إلى مناطق أخرى, لكن هذه المدرسة تؤيد احتمال التطور المتوازي المستقل , كما تنتقد تناول البريطانية لموضوع انتشار السمة الثقافية الذي رأت أنّه يجري بطريقة ضحلة لأنّ الموضوع يجب أن يدرس من جانب قبول أو رفض السمة أو حتى مجرد تعديلها بالمجتمع الذي حلت فيه

أما الثالثة فهي مدرسة الاتجاه التاريخي التي ترى التركيز على جميع الحقائق من تاريخ الثقافات والشعوب وذلك بدراسة ديناميات الثقافة وتفاعل الثقافات من خلال التحليل المقارن للأنماط الثقافية والدراسة المرتكزة على المادة الاثنوغرافية المحددة والتي تعين على مسار الثقافة وتفاعلها,لكن يرى أصحاب هذا الرأي أنّ المعرفة الاثنوغرافية المتوفرة حالياً لدى الأنثروبولوجيون لا تمكنهم من وضع نظريات موضوعية عن الحياة الاجتماعية لهذه الشعوب ولكن ربما يأتي اليوم الذي يتمكن به الأنثروبولوجيون من ذلك.[1]

[1] شاكر حسين الخشالي، مرجع سبق ذكره، ص 19،18

إنّ الدراسات التي تجري بهذا الاتجاه وجهت أنظار الباحثين إلى دراسة عدد من الموضوعات المحددة مثل الانتشار الثقافي أو الاستعارة الثقافية أو التغيير الثقافي والاتصال الثقافي(التثاقف) وما إليها واعتمد الباحثون أسلوبين لجمع المادة ليتمكنوا من بناء أو تحديد السمات العامة أو مظاهر التنوع الإقليمي أو الكشف عن السمات الثقافية الهاجرة وهي:

أ –ما ذكره شهود العيان في المراحل الأولى أو ما كتبه الرحالة والمبشرون والتجار.

ب - الدراسات الاثنولوجية الحديثة المعتمدة على الأبحاث الميدانية وأخيراً لا شكّ أنّ تحليل المادة المستوحاة من هذين المصدرين يمكن أن يساعد في تكوين صورة عن نمط الحياة في المجتمعات القبلية التقليدية .[1]

ب - التفاعلية الرمزية :

نهتم في دراستنا للباس على المعاني والرموز التي يحملها ولهذا كانت النظرية التفاعلية الرمزية من أهم النظريات التي يمكننا الاعتماد عليها لأنها ترتكز على فهم التفاعل الرمزي لتفسير سلوك الأفراد فباندماجهم في المجتمع يتحولون إلى كائنات اجتماعية لأنهم يتعلمون ويتشكلون في محيطه وباستخدامهم لعقولهم يشاركون في صنع المجتمع وتغييره. وتعتمد نظرية التفاعلية الرمزية على مقولة أساسية "أن الفرد عندما يأخذ ذاته في الاعتبار، عليه أن يأخذ الآخرين في اعتباره أيضا وأن يتشرب أدوارهم". واهتم جورج زيمل بأهمية فاعلية الشخصية في عملية التفاعل واللباس كأحد الأجزاء الظاهرة يعكس شخصية الفرد ويحمل معاني ورموز تمثل معتقدات وأعراف وعادات وتقاليد المجتمع الذي أنتجها، فحسب جورج هربرت ميد نكتسب المعاني والرموز من خلال عملية التفاعل وبهذا يستطيع الفاعلون تصور آراء الآخرين وهو ما يسمى بأخذ دور الآخر وتعتبر الذات محور هذا التفاعل واللباس كمرآة عاكسة لذات الفرد بها يمكننا تصور كيف نبدو بالنسبة للآخرين ثم تظهر مشاعرنا ومواقفنا الشخصية "التي يستوحيها الفرد من آراء وأحكام الآخرين ومواقف واتجاهات وتقويم وتصور المحيطين به والمتفاعلين معه"، ويؤكد ميد بضرورة أخذ وجهة نظر الآخرين في الاعتبار واعتبار الآخر بمثابة معيار عام لتقويم أداء الذات والنظر إلى الذات نظرة موضوعية وهذا ما يعنيه مفهومه الآخر المعمم ويتحقق هذا من خلال التفاعل الرمزي الذي يراه هربرت بلومر أساس فهم التنظيم الاجتماعي والذي يتألف من فرق مشاركة في عملية التفاعل وكل له دوره. واللباس يوضح دور الفرد ومكانته ومركزه الاجتماعي وكل تربطه علاقات لها اتجاهات مختلفة حسب دوره وحسب تسلسله في السلم الاجتماعي. وقد شبه جوفمان الحياة الاجتماعية بمثابة الفرقة على خشبة المسرح حيث يسعى الممثل إلى إقناع الجمهور بالدور أو الشخصية التي يمثلها ونفس الشيء في حياتنا اليومية نسعى إلى إقناع الآخرين بطبيعتنا الذاتية وذلك من خلال مظاهر وتعبيرات وترتيبات منها اللباس وما يحتويه من معاني ورموز تدل على سماتنا الشخصية وأدوارنا ومكانتنا الاجتماعية.[2]

---

[1] شاكر حسين الخشالي، مرجع سبق ذكره، ص19

[2] علي شتا السيد ، التفاعل الاجتماعي والمنظور الظاهري (ط1، الإسكندرية : منشاة المعارف، 2000)، ص 133.

المبحث الثامن: نقد وتقييم الدراسات السابقة

لم نجد دراسات تشبه تماما موضوع دراستنا لكن وجدنا ما يقاربها واستندنا عليها في البحث ومنها :

* دراسة تحت عنوان أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل – محاولة تحليل أنثروبولوجية وهي أطروحة لنيل شهادة دكتورة دولة في علوم الإعلام والاتصال من إعداد السيد رضوان بوجمعة.

وتتمحور إشكالية هذه الدراسة حول البحث في الأشكال التقليدية للإتصال في الجزائر، من خلال استعراض مختلف الأدبيات التاريخية، الإجتماعية والثقافية التي تناولت بالدراسة المجتمع الجزائري في حقبة زمنية محددة. وتم الاعتماد على الانتقال إلى الميدان في إطار تحقيق ميداني ارتكز على أداتي المقابلة والملاحظة حيث تمت محاورة بعض الأشخاص الفاعلين أو الذين يحتفظون بما قيل لهم من الجيل الذي سبقهم، وبعد الإطلاع على الموضوع بشكل إجمالي لم نلمس أو لم يتم تحديد الدراسات الأنثروبولوجية للدراسة وكان الموضوع متداخل ومتشعب وهذا نظن هو مانلمسه في رسالات الدكتوراه التي تميل لللتعقيد لكن نجد شئا مبسط يلائم موضوعنا .

هناك * دراسة حول ظاهرة الإهتمام باللباس عند الشباب الجامعي – رسالة ماجستير في علوم الإعلام والإتصال تناولت هذه الدراسة الموضة اللباسية لدى الشباب الجامعي في جامعة الجزائر،

هو موضوع مهم تناول الاهتمامات اللباسية لدى شباب الجامعة وتم تحديد العينة بجامعة باب الزوار لكن تم دراستها دراسة ميدانية من خلال دراسة حالة في حين أنه حبذا لو تم دراستها دراسة أنثروبولوجية.

* مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال بعنوان الاتصال" غير اللفظي للمرأة الجزائرية عبر الحلي الفضية التقليدية".

– وهي دراسة سميولوجية لحلي منطقة بني يني بالقبائل وأولاد فاطمة بالأوراس وتناولت هذه الدراسة الاتصال غير اللفظي عبر الحلي التقليدية في المجتمع الجزائري من خلال التطرق للاتصال غير اللفظي بمختلف أشكاله وبطبيعة الحال الحلي التقليدية وبعدها الاتصالي في المجتمع الجزائري.

وتأتي هذه المقاربة السميولوجية من خلا تفكيك شفرات حلي كل من منطقة بني يني بالقبائل وأولاد فاطمة بالأوراس من خلال تحليل دلالة اللفظ ودلالة المعنى عند رولان بارت وتحليل دلالات الحلي من خلال وظائف رومان جاكسون، وتناولت هذه الدراسة وبالتفصيل الممل كل أشكال الإتصال التقليدية عبر الحلي، وبطبيعة الحال استفدنا من هذه الدراسة غير أنها هي دراسة سميولوجية بحتة والسميولوجيا كما هو معروف فهي تبحث في الدلالات والمعنى من خلال أدق التفاصيل وبما أنها تناولت في مضمونها الجانب التاريخي للحلي ومختلف التسميات فهذا يندرج ضمن الميدان الأنثروبولوجي.

المبحث التاسع: صعوبات الدراسة

ككل دراسة لابد أن تكون هناك صعوبات يواجهها الباحث وفي دراستنا هذه تعرضنا لجملة من الصعوبات نذكر منها:

– قلة وندرة المراجع التي تتناول موضوع اللباس من بعده الإتصالي

– تقلص دور الإتصال غير اللفظي بحكم تطور أساليب الإتصال الأخرى مما جعل الناس يتناسون المهام الإتصالية الموكلة للباس والحلي سالفا، ويركزون اهتمامهم على الجانب الجمالي والتجاري لها فقط.

– ونظرا لقلة المراجع وتلاعب بعض المبحوثين بالمعلومات لجأنا للقيام بالعديد من المقابلات وانتهجنا أسلوب الملاحظة بالمشاركة من خلال المكوث مدة معينة بالمنطقة المدروسة من أجل تطبيق دراستنا الأنثروبولوجية التي تتطلب هذا الأسلوب العلمي من أجل تقصي الحقائق والبحث عن المعلومات مما أدى بنا إلى استغراق وقت أكبر لإنجاز هذه الدراسة.

ونظرا لطابع المنطقة واجهتنا صعوبات في التنقل إلى للأماكن التي ستجرى فيها الدراسة وأيضا هناك صعوبات في التعامل مع أبناء المنطقة لأنها تعتبر منطقة محافظة وكان ارتكازنا على منطقة مسعد التي تبعد على الولاية بحوالي 80 كلم وهي منطقة متمسكة بعاداتها وتقاليدها وهي تقريبا تشمل كل مناطق الجلفة.

– وبطبيعة الحال وككل دراسة أنثروبولوجية تتطلب صعوبات مادية لأنه يجب التنقل إلى مختلف المناطق والمكوث بها بالمال الشخصي للباحث لذلك واجهنا صعوبات مادية أيضا وبطبيعة الحال المصطلحات فبالكاد نتعرف على بعض المصطلحات لأنها تختلف كثيرا حتى في المنطقة الواحدة.

الفصل الثاني :الاتصال والتواصل بين اللفظي وغيراللفظي

المبحث الأول :الاتصال والتواصل

الاتصال لغويا

تعني كلمة الاتصال communication التعبير والتفاعل من خلال بعض الرموز لتحقيق هدف معين..وتنطوي على عنصر القصد والتدبير. وهذه الكلمة مشتقة من الأصل اللاتيني communis بمعني المشاركة وتكوين العلاقة أو بمعنى شائع أو مألوف كما أرجع البعض هذه الكلمة إلى الأصل commun بمعني عام أو مشترك communicate

ويرجع أصل الكلمة في اللغة العربية إلى الفعل يتصل والاسم يعني المعلومات المبلغة أو الرسالة الشفوية أو تبادل الأفكار والآراء أو المعلومات عن طرق الكلام أو الإشارات كما تعني الكلمة أيضا شبكة الطرق أو شبكة الاتصالات وكلها تؤكد على أهمية التفاعل والعلاقات الانسانية بين البشر. حيث عرفها مختار القاموس بأنها "وصل الشئ بالشئ وصلا"بمعنى نقل المعلومات والمعاني والأفكار والمشاعر بين شخص وآخر بين مجموعة أشخاص لتحقيق غرض معين أو هدف ما.

وهناك من القواميس العربية الإنجليزية ما يستخدم فعل communicate وكلمة communication كأحد مرادفات الفعل العربي"وصل" و"شارك" و"تفاعل".

ومع هذا تستخدم كلمة الاتصال بمعاني متعددة تتدرج من التفاعل بين الأفراد إلى االستخدام شبكات الاتصال التكنولوجية بل وحتى وسائل المواصلات المتقدمة والمتطورة ويؤكد ذلك على أن الاتصال يحدث عندما يتبادل الأفراد المعلومات أي عندما يدرك بعضهم بعضا وعندما يتبادلون الرسائل فيما بينهم ولايقتصر ذلك على الجاتب اللفظي فقط بل يتضمن"الإيحاءات والإشارات والمظهر وأوضاع البدن".[1]

الاتصال عبارة عن عملية تفاعل اجتماعي تهدف إلى تقوية الصلات الاجتماعية في المجتمع عن طريق تبادل المعلومات والأفكار والمشاعر التي تؤدي إلى التفاهم والتعاطف والتحابب أو التباغض.

ويعرف قاموس اكسفورد الاتصال بأنه " نقل وتوصيل أوتبادل الأفكار والمعلومات(بالكلام أو بالكتابة أو بالإشارات)" . ويتم تبادل المعلومات أو الأفكار بين مرسل ومستقبل أو مرسل ومستقبلين. فعندما نتكلم نريد من يسمعنا وعندما نكتب نريد من يقرأ لنا وعندما نستخدم الايماءات والابتسامات نريد من يستقبلها ويفهمها ويستجيب لها باءيماءات أو ابتسامات مماثلة.

والتصال هو" ارسال معلومات من شخص أو مجموعة أشخاص لشخص آخر أو آخرين بشكل أساسي من خلال الرموز." فالرموز هي الأحرف والكلمات والاصوات والأرقام والصور والرسومات والألوان...الخ. فاللغة عبارة عن نظام من الرموز التي تكون على شكل كلام منطوق أو مكتوب أو إشارات بالرأس أو بالعينين...الخ[2]

---

[1] هناء حافظ بدوي،الاتصال بين النظرية والتطبيق، ا المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2003، ص 15, 14

[2] إبراهيم عرقوب، الإتصال الإنساني ودوره في التفاعل الإجتماعي(ط1، عمان الأردن: دار مجدلاوي، 1993)،ص 18،17

ويعرف كل من جون ويكلاد John Weaklad، وواتزلاويك الاتصال على أنه : « مسار اجتماعي دائم، يشمل العديد من التصرفات والسلوكات، والكلام، والإشارات، والنظرات، والإيماءات، والفضاء، والإقليم الخاص الشخصي التبادلي [1]».

ويعرف **التواصل** بأنه عملية نقل هادفة للمعلومات، من شخص إلى آخر ومن مجموعة إلى أخرى بغرض إيجاد نوع من التفاهم المتبادل بينهما. ولذلك فالتواصل هو العملية التي يتم من خلالها نقل وتبادل المعلومات والأفكار بين طرفين أو أكثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وباستخدام وسيلة أو عدة وسائل اتصالية من خلال تفاعل الأفراد من مجموعات وثقافات مختلفة وذلك من أجل إتاحة الفرصة لتوصيل المعنى وفهم الرسالة.

ويقوم التواصل بوجه عام بنقل الثقافة والمعرفة بأنواعها والمعلومات المختلفة من شخص لآخر أو من ثقافة إلى أخرى أو من منطقة إلى أخرى عبر الزمن لتتخذ لها مسارا يبدأ عادة من المصدر التي تتبع منه إلى الجهة التي تستقبلها ثم يرتد ثانية وهكذا.

[1] محمود عوده : أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي(دار النهضة العربية، بيروت – لبنان.1988ص. 39

مبادئ التواصل:

يقوم التواصل كباقي العلوم على مجموعة من المبادئ، سنقتصر على ذكر البعض منها:

التواصل مجموعة من العلامات والإشارات

يقدم التواصل عادة شكل مجموعة سلوكات أو رسائل لفظية وغير لفظية، تقوي عادة الواحدة منها الأخرى على قاعدة علاقة تكاملية.

يحتوي التواصل مضمونا علائقيا

ويتحقق هذا المبدأ من خلال الحذر من الوقوع في أخطاء فادحة، تم تلخيصها في خمس نقاط:

الشخص الذي يحدثك،الامر الذي يتحدث عنه، كيف، متى، أين

وقد حاول "لازويل" الإجابة عن الأسئلة نفسها تقريبا محاولا وصف ظاهرة التواصل، وصاغها كالآتي:

من؟يقول ماذا؟إلى من؟بأي وسيلة؟بأي مؤثرات؟

كل من هذه الأسئلة تساعد على تحديدقطب من ظاهرة التواصل، وكذا حقل التحرك الذي يناسبه.

يحتوي التواصل تعاملات متساوقة وتكاملية

– العلاقات المتساوقة: يرجع الشخصان كل منهما إلى سلوك الآخر بشكل تبادلي.

– العلاقات التكاملية: يتبنى الشخصان سلوكات مختلفة.

تتوج المتتاليات التواصلية بغايات تأويلية

إننا نعمل في الغالب على جعل التواصل خادما لمصالحنا الشخصية، ومتطابقا مع صورتنا عن ذواتنا.

التواصل عملية تعاملية تبادلية

- لأن إرسال الرسائل واستقبالها يتمان بشكل تزامني.
- لأن العناصر مترابطة فيما بينها: فعناصر التواصل متوقف بعضها على بعض، وهي ليست أبدا مستقلة، إذ كل عنصر في علاقة بالعناصر الأخرى.

التواصل عملية تسلسلية

لاشئ يبقى قارا وجامدا في التواصل، بل كل عناصره في تفاعل دينامي باستمرار.

لايمكن تفادي التواصل

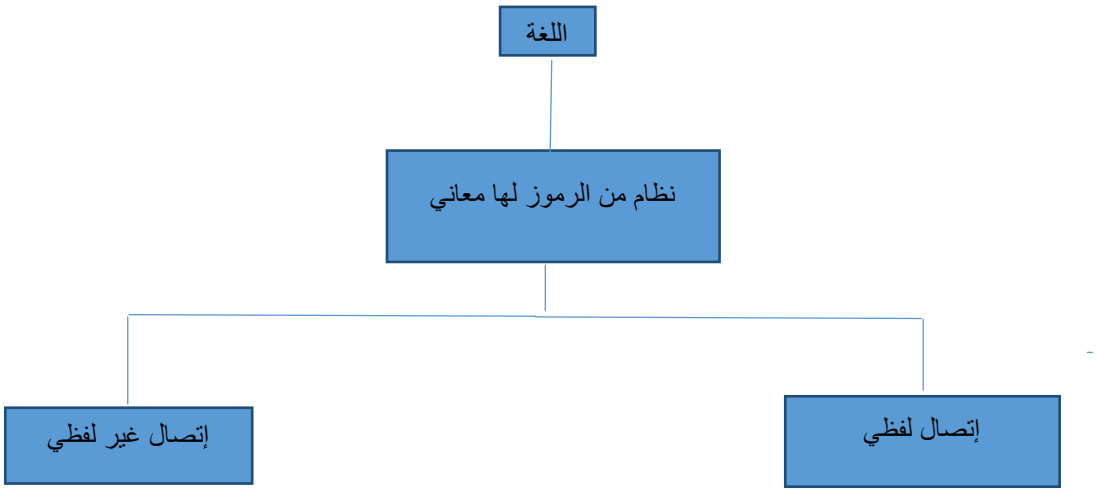
يكتسي التواصل سمة الحتمية ، إذ على الرغم من عزلة الانسان الاختيارية أو المفروضة، فإنه في تفاعل مؤثرمع ماخزنته ذاكرته من أحداث ومواقف تواصلية سابقة تؤطر تواصله مع ذاته.

وتحتل اللغة في علم التواصل الموقع الفعال والمؤثر رغم المساحة الضيقة التي تشغلها داخل العلامات التواصلية، التي تنقسم إلى علامات لفظية وعلامات غير لفظية تشمل كل مجالات العمران البشري بكل تجلياته.فاللغة هي النسق الرمزي المميز للفعل التواصلي الإنساني[1]

[1] محمد عابد الجابري، التواصل نظريات وتطبيقات (ط1، بيروت، لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2010)، ص 68-66

أشكال الاتصال الانساني:

اللغة



Verbal communication

1. منطوق (شفوي)
2. كتابي

Non-verbal communication

لغة الاشارات
لغة أعضاء الجسم

قواعد اللغة تتحكم في الإتصال اللفظي

النواحي النفسية والجسدية تتحكم في الإتصال غير اللفظي

أشكال الاتصال غير اللفظي

1 - لغة الاشارات(الصم والبكم)
2 - لغة أعضاء الجسم(الرأس، العينين، الإبتسامة، تعبيرات الوجه،...الخ)
3 - لغة الصمت
4 - نغمة الصوت
5 - المكان أو الحيز

المبحث الثاني : الاتصال اللفظي وغير اللفظي:

الاتصال الانساني اتصال لغوي. فاللغة هي أداة الاتصال وعبارة عن نظام من الرموز لها معان أعطاها إياها الانسان.والرمز هو الشئ الذي يمثل أو يرمز إلى شئ آخر. والكلمة هي عبارة عن رمز يمثل فكرة أو شيئا في الواقع.

وقد تكون هذه الرموز على شكل أحرف أو أرقام وألوان أو زوايا أو خطوط أو كلمات أو إشارات أو لغة أعضاء الجسم

قال تعالى:"قال رب اجعل لي آية قال ءايتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا..."14

وقال تعالى:"فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا" 15 فالرمز هنا يعني الإشارة. فمثلا أعلام الدول هي عبارة عن رموز لدولها بما تحويه من ألوان واشارات وأشكال تعبر عن طبيعة بلدانها، ويتفق علماء النفس المحدثون على أن الرموز اللغوية هي أرق أنواع الرموز وأقدرها على نقل المدركات من مجال الغموض اللاشفوي إلى حيز الوضوح الشفوي، واللغة في نظرهم مجموعة الرموز التي تنقل المعاني من ابهام الأحاسيس إلى نور الفكر.

وتأخذ اللغة التي هي أداة الاتصال والتفاهم بين الناس الشكلين التاليين:

1. **اتصال لفظي(منطوق ومكتوب)**
2. **اتصال غير لفظي(لغة الاشارات وأعضاء الجسم)**

الاتصال اللفظي:

يدخل في هذه المجموعة كل أنواع الاتصال الذي يستخدم فيها اللفظ كوسيلة لنقل الرسالة من المرسل إلى المستقبل هذا اللفظ قد يكون منطوقا يصل إلى المستقبل فيدركه بحاسة السمع وقد تكون اللغة اللفضية مكتوبة.

ومن الأمثلة على استخدام اللغة اللفظية استخدامها في المحاضرات والندوات والمناقشات والمناظرات والمؤتمرات والمقابلات الاجتماعية وغيرها.

ومن أمثلة الوسائل التي تستخدم فيها اللغة اللفظية المكتوبة..الكتب والمجلات والصحف اليومية، والتقارير وغيرها.

تعريف الاتصال غير اللفظي

إن الجزء الأكبر من التفاعلات الاجتماعية بين الأفراد تتم عن طريق الاتصال غير اللفظي كالإيماءات، والنظرات، والحركات، واللباس، ووضعية الجسم، وطريقة المشي، والتعبيرات الوجهية.[1]

فالجسم كله يتحدث، فنحن نرتعش من الخوف، ونختنق من الغضب، ونقفز من الفرح، ونحمر من الخجل. وهذا ما يعبر عنه فرويد FREUD : «في دراسته حول الهستيريا بقوله ما من امرئ يمكنه أن يخفي سرا ما، فإذا كانت الشفتين صامتتين، فانه يتكلم بأطراف أصابعه» [2].

« Nul mortel ne peut garder un secret, si les lèvres sont Silencieuses, il bavarde du bout des doigts. »

كما يقول أبيركرومبي Aberc ROMBIE في هذا الصدد: « إننا نتكلم بواسطة الأعضاء الصوتية، ولكننا نتصل عن طريق كل جسمنا فنحن لا نستطيع أن لا نتصل، فإذا توقفنا عن الاتصال عن طريق الكلام فان ذلك يستحيل إذا رجعنا إلى الجسم بكل أبعاده، فحتى حالة الصمت تحمل رسالة اتصالية مفادها أننا " لانريد أن نتصل."»[3] .

ولهذا فإننا لا نستطيع التحكم في إيماءاتنا الوجهية أو حركاتنا اللاشعورية، فحتى وان لم يحدث الاتصال المباشر بين شخصين فهناك ميكانيزمات أخرى تسمح لهما بالاتصال، لأن السلوك قيمة اتصالية . والاتصال موجود في كل مكان، ولا يمكننا تفاديه . كما أنه لا يحدث بصفة عشوائة لأننا نختار سلوكاتنا الاتصالية[4].

ولقد كان الاتصال غير اللفظي محور الدراسات في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، التي تعتبر أن النشاطات الجسمية قاعدة لمختلف التفاعلات الاجتماعية.

ومن بين الباحثين الذين اهتموا بهذا المجال نذكر بيردويستل الذي قام بتحليل لقطات فيلم مصور حول التفاعلات بين الأفراد، وتوصل إلى أنه خلال المحادثات اليومية ترسل كل من العينين، والوجه، واليدين، والشفتين إشارات ورسائل دلالية.

وهذه الإشارات غير اللفظية يمكن مقارنتها باللغة اللفظية التي تتكامل معها . ويرى أنه خلال المحادثات بين الأفراد تمثل التعبيرات غير اللفظية أقل من 35 % من الدلالة الاجتماعية للوضعية، أما 65 % يعبر عنه بطريقة غير لفظية . في حين يعتقد أنه بين 50 % و 90 % من الرسائل تنقل عبر الوسائل غير اللفظية.

وبذلك فانه لا يمكن الحديث عن اتصال غير لفظي كظاهرة منفصلة عن الاتصال بصفة عامة، والتي تعتبر ظاهرة معقدة ومتعددة الأبعاد تعتمد على قنوات مختلفة.

وتتميز الإشارات غير اللفظية بكونها امتداد للذات، وهي في الغالب لا شعورية وتعتبر مؤشرات للسلوكات الإنسانية .كما أن دلالة العناصر غير اللفظية كوضعية الجسم، واللباس، والحركات، وحدة الصوت، والإشارات، والإيماءات تشكل السياق الذي تأخذ فيه الرسالة اللفظية معناها.

---

[1] Judit Lazard : Science de la communication, Ed. Presses Universitaires de France, Ed Dahlab,Alger ,1993. p 56.

[2] Christian BAYLON, Xavier MIGNOT : La Communication, France,1997.p 145.

[3] Ibid .p 143.

[4] Myers GAILT : Les bases de la communication interpersonnelle. Ed. McGraw-Hill, Paris. p 208.

فالرموز غير اللفظية لا تأخذ دلالتها ومعناها إلا في إطار سياق معين، وخلال علاقتها بالعناصر الأخرى المكونة للسياق . لذا فان تحليل السلوكات غير اللفظية يستدعي أولا معرفة السياق الذي يتفاعل فيه الأفراد ووضعيتهم، معا لأخذ بعين الاعتبار أن الإشارات غير اللفظية لاتحمل دائما نفس الدلالات بالنسبة لجميع الأفراد . ومن جهة أخرى فإننا نؤول كل هذه الإشارات المختلفة بدون أن ندرك أن هذه التأويلات أساس الانطباعات التي نكونها عن الآخرين، سواء اكانت سلبية أو إيجابية . كما أن قراراتنا واختياراتنا تحدد وفقا للتأويلات التي نعطيها للرموز المختلفة . وبذلك فان معرفتنا لهذه الرموز هي التي تعلمنا كيف نتحكم في سلوكات الآخرين، وكيف نوجهها، بتبني الطرق السليمة في توظيف التعبيرات غير اللفظية[1].

ولقد أثبت الباحث شروت P. SHROUT من جامعة كولومبيا أن استعمال الأشكال غير اللفظية بكثرة أثناء الاتصال يؤدي إلى نجاح عملية الاتصال . فالذين يعتمدون أكثر على التعبيرات غير اللفظية، غالبا ما يتركون انطباعات حسنة لدى الآخرين.

كما أن الاتصال غير اللفظي يكون في غالب الأحيان أصدق وأقوى من الاتصال اللفظي .فهو يسمح بملاحظة ما هو غير معبر عنه صراحة، والذي يمكن أن يتعارض مع ما يقوله الفرد، أو ما يفكر فيه، أو ما يشعر به [2].

فالتعبيرات غير اللفظية ترافق الكلام أحيانا من أجل تدعيمه والتأكيد على بعض الدلالات، أو المداراة على أخرى.

إن تأثير التعبيرات غير اللفظية هو تأثير مباشر وفوري، سواء اكانت المعلومات التي تحملها ناتجة عن وعي، أو كانت غير قصدية . وهذه المعلومات والدلالات أكثر تعقيدا وتنوعا مما نعتقده.

وهي تعكس الحالة العقلية والشعورية التي يصعب التعبير عنها بالكلمات . وهي أكثر صدقا من الكلام لكنها ليست أقوى منه، باعتبارها مقتصرة على "هنا" و "الآن"، أي ترتبط بالزمان والمكان الذي تحدث فيه ومن خلاله . فالفرد خلال التفاعلات غير اللفظية يكون مقحما كليا في التجربة الحالية، وينغمس في الحاضر الذي يعيشه، بدون إدراك عقلي وتفكير ملي في الوضعية التي يعيشها . وبذلك فهو لا يتحكم في مجموع الحركات والإشارات التي يرسلها[3] .

وللإشارات غير اللفظية وظيفة في نقل المعلومات المتعلقة بالسمات الخاصة بالأشخاص كالهوية الاجتماعية والانتماء الثقافي . وتعتبر هذه المعلومات المرجع الأساسي للتنظيم الاجتماعي، لأن العلاقات والبنيات الاجتماعية لا يمكنها أن تستمر إلا إذا كان الأفراد معرفين من خلال الفئات الاجتماعية التي ينتمون إليها .فوضعية الجسم، وإيماءات الرأس، وحركات اليدين تشكل عناصر محددة بمجموعة من القواعد التي تحكم سلوكاتنا الاتصالية في الوضعيات الاجتماعية .وتعبر عن انتمائنا لجماعة معينة، كما أنها تعلم الآخرين عن مكانتنا ودورنا الاجتماعي[4].

كما أن الجسم بمختلف أبعاده ينقل أحاسيسنا، فاستقامة الصدر ووضعية الكتفين وطريقة المشي تعكس حالتنا العاطفية، فالإحساس بالحزن يعبر عنه بالانطواء حول الذات والانكماش، أما حالة الفرح يعكسها الاسترخاء والنشاط .كما أن الجسم يعبر عن الانفعالات وحالات التوتر، فالضرب بأطراف الأصابع على الطاولة أو تحريك الرجل بصفة مكثفة يعبر عن القلق[5].

---

[1] Myers GAILT : opcit . pp196-197.

[2] Judit LAZARD : opcit .p 57.

[3] Gilles AMADO, André GUITET : Dynamique des communications dans les groupes ,Ed. Armand COLIN, France.1997. p18

[4] J. COSNIER , A .BROSSARD : La Communication non verbale, Ed Detachaux et Nestlé, Paris,1984.p86.

[5] Myers GAILT : opcit .p144.

أنواع الاتصال غيراللفظي

1-الصمت:

إن الصمت جزء لا يتجزأ من الاتصال، وهو مظهر أساسي وطبيعي له . فالاتصال الفعال يرتبط بصفة كبيرة بالصمت لأن الناس يتكلمون بالتناوب، لذا يجب على بعضهم السكوت من أجل الاستماع للآخرين . وهذا ما يمكن مقارنته بحالة الاستماع لمقطع موسيقي الذي يستدعي الصمت للاستمتاع به أكثر[1].

وكثيرا ما يساعد الصمت على تدعيم العلاقات الشخصية بين الأفراد، وذلك في الحالات التي يفضل فيها أحد الأطراف السكوت كحالة الغضب . حيث يكون الصمت كعامل مهدئ يسمح بتفادي تأزم الوضع وتعقد الأمور، أو في حالة الحاجة إلى الهدوء والراحة للتركيز والتفكير .ويتطلب الحفاظ على العلاقة الجيدة احترام رغبة الآخر في الصمت، فأي محاولة للإزعاج تثير استجابة سلبية وتؤدي إلى فشل الاتصال.

وقد ينوب الصمت عن الكلام عندما يعجز الفرد عن الكلام أو يجد صعوبة في ذلك كحالة الحزن، والمرض، والمعاناة وبذلك يعبر الصمت عن حالة الفرد النفسية والعاطفية، حيث يميل الناس إلى التقليل من الكلام أو السكوت تماما عندما لا يكونون في حالة نفسية أو صحية جيدة، فكثيرا ما نسمع عبارات مثل: "لا تكلمني اليوم فأنا لست على ما يرام"

كما يمكن للصمت أن يحمل بعض الدلالات عن شخصية الأفراد. فالأشخاص الذين يحبون السكوت عادة ما يوصفون بأنهم انطوائيين، وفي بعض الأحيان يوصفون بأنهم هادئين أو خجولين . وهكذا يؤول الصمت بطرق مختلفة فالبعض ينظر إليه على أنه سمة إيجابية، في حين يعتقد البعض الآخر أنه سلوك سلبي.

وبين هذا الرأي وذاك يبقى الصمت شكلا من أشكال الاتصال يحمل رسائل دلالية مختلفة ويؤثر في سيروة الاتصال.

2-النبرات الصوتية:

إن اللغة المنطوقة ليست حيادية، فهي تكون دائما مرافقة بنبرة ونغمة في الصوت، وتغيرات في النبرات واللهجات، وتشديد حدة الصوت في بعض الكلمات وتقطيعات الجمل .فهذه العوامل التي تدخل بشكل ضمني في عملية الاتصال بين الناس *هي ما يسمى ب " شبه اللغوي" Le Paralangage.

والصوت كغيره من الإشارات غير اللفظية تحمل دلالات عن شخصية الفرد وحالته النفسية، وتنقل الأحاسيس والعواطف . فقد يكون الصوت حزينا، أونقي أو دافئا [2].

فنبرة الصوت تلعب دورا في الدلالة على الحالة العاطفية للأفراد، وكذلك التوقف خلال الكلام عادة ما يعبر عن حالة القلق والأرق . ولقد أثبتت الكثير من الدراسات أن رفع الصوت دليل على التنشيط العاطفي والإثارة[3] .

لكن رفع الصوت في حالات أخرى يأول على أنه سوء أدب وقلة احترام، وهذا ما ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى : بسم الله الرحمان الرحيم : (واقصد في مشيك، واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير19)

- -سورة لقمان : الآية رقم19

فخفض الصوت يكون أدبا من الناس ومع الله، فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة لما اختص بذلك الحمار الذي علمت بلادته[4]

وطبيعة الصوت تكشف عن بعض الجوانب في شخصية الفرد، فالأشخاص الذين لديهم صوت قوي وخشن عادة ما يوصفون بأنهم عصبيين . ولقد أثبت كل من whelen وويلين، Kenker

---

[1] Myers GAILT : opcit .p193,197.

[2] Gilles AMADO et André GUITET : opcit. P 26.

[3] J. COSNIER et A .BROSSARD : opcit. P88.

[4] عبدالرحمان ابن ناصرالسعدي : تيسيرالكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، (بيروت ،مؤسسة الرسالة ، 2002) ص 649

وكونكير، Birgental بيرجونتال أن الأشخاص الذين يتمتعون بالثقة في أنفسهم يكون صوتهم نقيا وغير متردد [1].

ويعتبر الصوت ميزة خاصة بكل من الجنسين، فصوت المرأة يختلف عن صوت الرجل الذي يتميز بكونه أكثر خشونة وقوة . وعند ما يكون صوت الرجل رقيقا كصوت المرأة – وهي حالة مرضية – يترك انطباعا سيئا لدى الآخرين، و يعتبر ضعفا في الشخصية .كما أنه يكون أقل جاذبية بالنسبة للجنس الآخر . ونفس الشيء بالنسبة للمرأة عندما يكون صوتها خشنا.

وكثيرا ما تعبر نبرة الصوت عن السلطة والنفوذ والدور الاجتماعي في وضعية معينة .فالشرطي الذي يكون في مكان وقوع حادث المرور عليه أن يتحكم في الموقف، ويفرض سلطته أثناء التحقيق عن طريق نبرة صارمة . ونفس الشيء بالنسبة للأب الذي يعاتب ابنه على ارتكابه لحماقة، فإذا لم تكن النبرة صارمة فقد لا يأخذ الابن الأمور بجدية.

أما نغمة الصوت فهي تكشف عن الانتماء الاجتماعي والثقافي للأشخاص .

لذا فانه من السهل معرفة انتماء الشخص القبائلي عندما يتحدث بالعربية منذ اللحظات الأولى من المحادثة من خلال نغمة الصوت . ونفس الشيء بالنسبة للمصري والسوري، والايطالي.

3-الحركات والإشارات:

تعتبر الإشارات من أقدم الوسائل التي استعملت في الاتصال بين البشر، وهذا قبل ظهور اللغة المنطوقة . فقد ترافق الاشارات اللغة أو الكلام أو تنوب عنهما، من أجل نقل بعض الرسائل .فالجسم يتحدث بلغته الخاصة، ويستعمل في ذلك الحركات والإشارات التي تحمل رموزا تعبر عنها، والتي نفككها بطريقة آلية.

ومن الضروري مرافقة الألفاظ بالحركات، فالجسم يحتاج إلى تحديد الجانب المادي للكلمات، كما أنه يحتاج إلى معالم في الفضاء، وهذا أمر طبيعي[2] .

-Gestes) والاتصال عن طريق الإشارات هو مجموعة الإشارات الاصطلاحية التي ترافق إراديا الاتصال اللفظي وتدعمه، والتي تصبح، (Conventionnelles ذات دلالة ذاتية وحسب قوفمان فان هذه (Gestes auto-signifiant) .

الإشارات تظهر خلال التواجد المشترك للأفراد .ولا تحمل دلالتها إلا في إطار سياق العلاقة التي يشترك فيها الطرفين. فالإشارات تعتبر كامتداد للذات، ويتم إرسالها بصفة لا شعورية . وتلعب دورا أساسيا في تكوين المواقف والآراء حول الآخرين . وتعمل كمؤشرات سلوكية (Des Indices Comportementals) .

إن الحركات التي تسبق الكلام أو ترافقه كطريقة الجلوس، وانحناءات الرأس، وحركة اليدين، ووضعية الكتفين عناصر توظف بشكل مختلف حسب الأوساط الاجتماعية والجماعات الثقافية .حيث توجد مجموعة من القواعد التي تحكم التعبيرات الجسمية في وضعيات اجتماعية معينة كالبروتوكولات، وأنواع التحيات، والمراسيم، والزيارات .ومعرفة هذه الرموز واحترام القواعد التي تضبطها يدعم (Signes de reconnaissance) الانتماء الاجتماعي، إنها رموز الاعتراف التي تميز الروابط الاجتماعية وتعمل على تقويتها[3].

فبالإضافة إلى الحركات المرتبطة بالطبيعة الحيوانية لدى الإنسان كتلك المعبرة عن الخوف، والخضوع، والتفوق، توجد حركات منظمة ثقافيا وخاصة بمجتمع معين كالتحيات، والطقوس، والتهديدات . فنفس الحركات والاشارات يمكن أن تحمل دلالات مختلفة من ثقافة لأخرى بل قد تكون متناقضة تماما .

---

[1] Jean Marie BOISVERT : S'affirmer et communiquer , Les Editions de L'homme, Canada,1979.p119.

[2] Incidence de la Visibilité du Handicap dans la Relation à Autrui et au Groupes . extrait du titre : "Handicap , Handicapé Le Regard Interrogé ". ouvrage collectif sous la direction de Charles Gardou .Toulouse. Ed ERES.1991.Mise en page le 18.03.07. http // : JLSMON.free.fr

[3] Gilles AMADO et André GUITET : opcit . p22-26

فالتعبير عن الجنون بتقريب السبابة من الرأس في ثقافات عديدة يعني عند الهولنديين الذكاء الفائق . كما أن الإشارة التي تعبر في أمريكا على القبول والرضى، والعمل المتقن بتشكيل حلقة بالإصبعين الإبهام والسبابة، تدل في اليابان على قطعة نقود دائرية. أما في فرنسا تعبر عن الصفر، أو شيء لا قيمة له .[1]
وللحركات قدرة على التعبير عن الحالة الشعورية والنفسية للفرد، فالحركات والإشارات تعبر تلقائيا عن الأحاسيس كالمفاجأة، والرضى، وعدم الموافقة ويمكن أن ترافقها أعراض غير إرادية كاحمرار الوجه، وصعوبة في التنفس.
كما أن حركات الأفراد اتجاه بعضهم البعض في وضعيات مختلفة تعبر عن مواقفهم، فمثلا تربيع الأيدي تعبر عن وضعية الانغلاق وقد تعبر أيضا عن المقاومة، والتحدي، والصمود، والغضب.
كما أن تعديل وضعية الجلوس عادة ما تعبر عن نوع العلاقة التي تربط الطرفين، فالاتفاق يعبر عنه بالتوافق والانسجام في الحركات، أما الاختلاف تعكسه تعدد الحركات وتشعبها .وطبيعة المشية أيضا تعلم الآخرين عن حالتنا من عزم وقوة، أو ضعف وتعب [2].

4-تعبيرات الوجه:

يعتبر الوجه من أسرع الوسائل التي تنقل المعاني من المرسل إلى المستقبل وبالعكس. فملامح الوجه تعتبر أكبر مصدر للاتصال غير اللفظي لأنها تنقل لنا مشاعر الآخرين أو عواطفهم تجاهنا وتكشف عن عواطفنا أو مشاعرنا تجاههم في آن واحد.
ولكن ليس من السهل دائما قراءة تعبيرات الوجه لأنها قد تعطينا معاني وتخفي عنا اخرى كثيرة في نفس الوقت.
ومن المعاني التي تفصح عنها تعبيرات الوجه:
العبوس، السعادة، الشقاء، الاجرام، الاستكبار، الإيمان، العجب، الذل...ومن المعاني الأخرى، القلق والألم والتعب والخوف والاحتقار والصحة والاثم واليأس والخسارة والربح.

5-العينان:

ترسل العينان وتستقبل العديد من الرسائل الاتصالية غير اللفظية في آن واحد.
ومن المعاني التي تحملها هذه الرسائل:
الخجل والصدق والكذب والحلال والحرام والثقة والشك والاحترام والاحتقار والحب والكره والعزة والذل والتعب والراحة والموافقة والرفض والاهمال والحذر والتوتر والقلق والخداع والتجسس والحزن والسخرية.

6-اللمس:

اللمس وسيلة هامة لنقل أفكارنا ومشاعرنا ومعلوماتنا للآخرين سواء أكانت عملية اللمس باليد أو الرأس أو الوجه أو الأنف أو أعضاء الجسم الأخرى. فعملية اللمس تحمل مشاعر ايجابية وأخرى سلبية يحددها المكان والزمان والجنس والسن والمكانة الاجتماعية والدين والخلفية الثقافية والعلاقة بين المرسل والمستقبل. فما هو مسموح به في ثقافة ما محظور في ثقافة أخرى.
ومن معاني اللمس: الحب والكره والتأييد والتأكد والمقاطعة والاحترام والاحتقار والمداعبة والحذر والاساءة والعاطفة والحنان والتحية والحرارة والبرودة واللطف والقسوة والعزلة والعداء والصداقة والحرام والحلال. وعن طريق اللمس نستطيع أن نتعرف على أنفسنا وهذا الكون الذي نعيش فيه ونبني جسور الثقة بيننا وبين الآخرين في المجتمع[3].

---

[1] Christian BAYLON et Xavier MIGNOT : opcit . p145.

[2] La Synergologie et le Langage du Corps : Turchet .mise en page le 10.02.2004. http : //www.Synergologie.com

[3] إبراهيم أبو عرقوب،مرجع سبق ذكره، ص27-31

7-المظهر العام:

المظهر العام هو هيئة الانسان من حيث الطول والقصر والنحافة والبدانة والضعف والقوة والصغر والكبروالصحة والمرض ولون البشرة والعينين والشعر والملابس التي يرتديها.

فالملابس تعطينا معلومات عن مكانة الشخص الاجتماعية ودينه ومهنته وبلده وعائلته وجنسه ذكرا أم أنثى أو أبيض أو أسود أوأصفر ورتبته في مؤسسته وثقافته وسنه وحالته النفسية. فنظرة الناس لنا تتأثر بنوعية الملابس التي نرتديها وسعرها وجودتها وألوانها وذلك للأسباب التالية:

أ - تبين الملابس شيئا من عواطفنا. فملابسنا هي انعكاس لمشاعرنا الداخلية.

ب -تعطي الملابس معلومات عن سلوكنا. فلباس معين يفرض علينا سلوكا معينا من حيث الأكل والشرب والوقوف والكلام والحركة مثل العسكريين والأطباء والمدرسين.

ج- تميزنا الملابس عن الآخرين. تميز المدني من العسكري والطبيب من الممرض والرجل من المرأة والغني من الفقير والصغير من الكبير.

فالملابس قد تصنع الناس أو تدمرهم أو قد تقربهم أو تبعدهم من بعض فمثلا الملابس الفاخرة تعد عائقا من عوائق الاتصال في عملية التفاعل الاجتماعي.

فالمظهر العام يعطينا هوية اجتماعية في المجتمع الذي نعيش فيه. فاستجابتنا الشخصية للناس واستجاباتهم لها تعتمد على مظهرنا العام أي على جوانب شخصيتنا الموروثة أو المكتسبة. أما فيما يخص لغة الأشياء، فهي تعود إلى المعاني والدلالات التي نعطيها للأشياء المحيطة بنا .فالمجوهرات مثلا لا تتوقف وظيفتها على الزينة فحسب، وإنما تعكس الانتماء الثقافي والعرقي للأفراد .فالحلي المستعملة عند المرأة القبائلية يختلف عن حلي المرأة الشاوية والعاصمية.

كما أن الأشياء التي نحملها كالحقيبة، والمحفظة، والأشياء التي نستعملها كالأثاث والأدوات تتكلم عنا لأنها تعبر عن اختياراتنا التي تعكس أذواقنا.

8 -الوقت:

الوقت مفهوم يتعلق بالنظام وأعمار الأحداث والناس والكون. ويقاس الوقت بأجزاء الثانية والدقيقة والساعة واليوم والأسبوع ونصف الشهر والشهر والأشهر والسنة والسنوات والقرون والدهور وللوقت معان كثيرة منها:

أ - الراحة: فنحن نعين وقتا للراحة في اليوم والليلة والأسبوع والشهر.

ب -الوقت هو الفلوس: فالوقت بالنسبة للعامل والمحامي والطبيب والتاجروالموظف وغيرهم من أفراد المجتمع هو المردود المادي.

ج -المكانة الاجتماعية: فنحن ننتظر الناس المهمين والمسؤولين لمقابلتهم.

د - السرعة: فالوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

هـ- الوقت هوالانجاز:فبما أن أعمارنا محدودة فيجب علينا ان نستغل كل لحظة في حياتنا بصفتنا خلفاء عن الله في الأرض للسعي فيها وإعمارها.

و- الدقة: إن الوقت الذي يقاس بالتقنيات الحديثة دقيق جدا وبالتالي ينعكس هذا على دقة الإنسان في التعامل مع أخيه الانسان. فدقة الوقت تعني سرعة وسهولة عملية الاتصال بين أفراد المجتمع.

ز- الاحترام:فالمحافظة على المواعيد والوفاء بها يعني احترام أصحابها.

ح -الاهمال: إن عدم المحافظة على المواعيد أو الإلتزام بها أو التأخر عن أدائها يعني الإهمال وعدم الإكتراث[1].

[1] إبراهيم أبو عرقوب، مرجع سابق الذكر،ص34-37

المبحث الثالث: أوجه التشابه والإختلاف والجمع بين الاتصال اللفظي غير اللفظي

أ - أوجه الشبه بين الاتصال اللفظي وغير اللفظي

1 - كلا من الاتصال اللفظي وغير اللفظي من انتاج الانسان
2 - الاتصال اللفظي يستخدم رموز على شكل كلمات منطوقة ومكتوبة أما الاتصال غير اللفظي يستخدم رموزا على شكل اشارات.
3 - الاتصال اللفظي يستخدم رموزا لها معاني وحركات أما الاتصال غير اللفظي يستخدم رموزا لها معان

ب - أوجه الاختلاف بين الاتصال اللفظي والاتصال غير اللفظي

1 - تتحكم قواعد اللغة في الاتصال اللفظي،
بينما تتحكم ضرورات أو عوامل بيولوجية في الاتصال غير اللفظي.

2 - الاتصال اللفظي مقصور على ثقافة واحدة ويحمل معاني محددة للجماعة الداخلية.
بينما لغة الاتصال غير اللفظي عالمية فالإبتسامة مثلا تعني نفس الشئ لكل الناس في العالم ولكن هناك بعض الرموز يختلف معناها من ثقافة إلى أخرى.

3 - نتعلم الاتصال اللفظي في مرحلة متأخرة من الحياة عن طريق التنشئة الاجتماعية. فالطفل يتعلم الكلام والكتابة بعد أن يكون قد تعلم لغة الاشارات اولا. أي أن الاتصال اللفظي يأتي بعد الاتصال غير اللفظي.
بينما نتعلم الاتصال غير اللفظي في مرحلة متقدمة من الحياة بعد الولادة مباشرة عن طريق التنشئة الاجتماعية فالطفل يتعلم الاشارات مثل الابتسامة والعبوس قبل ان يتكلم أو يكتب فالاتصال غير اللفظي يسبق الاتصال اللفظي في عملية التنشئة الاجتماعية.

1 - يعتقد كثير من العلماء بأن الاتصال اللفظي يمكن أن يناشد العواطف.
بينما يعتقد عدد كبير من العلماء بأن الاتصال غير اللفظي مفعم بالعواطف أو يمكن أن يناشد العواطف بقوة، فهو أصدق تعبيرا عن المشاعر والأفكار من الاتصال اللفظي.[1]

ج - الجمع بين الاتصال اللفظي والاتصال غير اللفظي

1 - استخدام الاتصال اللفظي وغير اللفظي مما يساعدنا في التعبير عن مشاعرنا وأفكارنا بقوة.
2 - قد يكمل الاتصال اللفظي الاتصال غير اللفظي فمثلا قد يكون لك دين على شخص ما فتطلب منه أن يسدد دينه . فيقول لك " أنا مفلس"ويقوم بقلب جيبه كناية عن افلاسه.
3 - في بعض الأحيان يحل الاتصال غير اللفظي محل الاتصال اللفظي أو يستبدل به.ففي الشيفرة العسكرية تستخدم الاشارات والرموز عوضا عن الكلمات للحفاظ على الأسرار العسكرية . ومن دواعي الاحترام في بعض الثقافات أن يبقى الشخص صامتا في حضرة الآخرين. فالصمت قد يعني الاحترام أو الرضى أو الخجل أو الرفض. فنحن "نطق صامتا" أو "رب صمت أبلغ من كلام".

[1] ابراهيم أبو عرقوب،الاتصال الانساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، مرجع سبق ذكره،ص23

4 - قد يرافق الاتصال اللفظي غير اللفظي: فنحن نتكلم ونؤشر بأيدينا أو رؤوسنا أو أعيننا في نفس الوقت وكذلك تعليمات استخدام الاجهزة المختلفة تحمل لغة مكتوبة ورموزا واشارات لطرق تشغيلها أو استخدامها ومخاطرها.

5 - أن استخدام الاتصال اللفظي وغير اللفظي معا يساعدنا في إعادة الرسالة الاتصالية أو تكرارها فالمعلم في غرفة الصف يتكلم ويكتب على اللوح ويؤشر بيديه وعينيه ليعبر عن أفكاره ومشاعره لافهام الصف. فهو يعيد ويكرر الرسالة الاتصالية مرة بشكل منطوق وأخرى بشكل مكتوب وثالثة بشكل اشارات أو حركات.

6 - في بعض الأحيان يكون الاتصال اللفظي على النقيض من الاتصال غير اللفظي. فقد ترى أحدهم ترجف يداه ورجلاه من شدة الخوف فتقول له: لما أنت خائف؟ فيرد عليك قائلا" أنا لست بخائف" فتجيبه قائلا: إذا لماذا ترجف فالأتصال غيراللفظي أصدق وأقوى تعبيرا عن مشاعرنا وأفكارنا لأنه نتاج عمليات أو تفاعلات بيولوجية في الجسم. فنحن نستخدم الاتصال غير اللفظي بعض الأحيان دون وعي منا بأننا نستخدمه.

ويساعدنا الاتصال اللفظي على التعبير عن مشاعرنا وتوضيح أفكارنا المعقدة وسرعة توصيلها للآخرين وتقوية الصلات الاجتماعية بين أفراد المجتمع ويوفر لنا دليلا مكتوبا لأفكارنا وثقافتنا يمكن الخلف الاستفادة من تراث السلف كذلك يسهم في عملية التواصل الاجتماعي والثقافي والحضاري بين الأمم والشعوب وبالتالي التفاهم أما بالنسبة للاتصال غير اللفظي فإنه يساعدنا على التعبير عن مشاعرنا وأفكارنا واتجاهاتنا بدقة ووضوح وصدق أو يفسر الاتصال اللفظي مما يضفي على عملية الاتصال حيوية وسرعة ووضوح واقناع. كما أنه يساعد على تكرار رسائلنا ويزيد من ثقتنا بأنفسنا وفي جذب انتباه الجمهور المستهدف[1].

[1] ابراهيم أبو عرقوب، مرجع سابق الذكر،ص،ص 24،25

المبحث الرابع: القاعدة النظرية لأنثروبولوجيا الاتصال :

يرجع مفهوم"أنثروبولوجيا الاتصال" إلى النصف الثاني من القرن الماضي، و جاءت أنثروبولوجيا الاتصال كتخصص لأول مرة سنة 1967 عبر كتابات عالم اللسانيات و الأنثروبولوجي الأمريكي (ايمس دال Dell Hymes (، و الذي اقترح استثمارا اثنوغرافيا للسلوكيات والوضعيات و الأشياء الموجودة عند جماعة معينة على أساس أنها لها قيمة اتصالية .تستوحي انثروبولوجيا الاتصال قاعدتها النظرية من أعمالDell Hymes ، Winkinو Goffman وBirdwhistell، Goodenoughوآخرون إن أنثروبولوجيا الاتصال كما يقول ايف وينكن هي "قبل كل شيء شكل معين من أشكال البحث في العلوم الاجتماعية ".و لذلك نجد تدخل من قبل مختلف المتخصصين في العلوم الاجتماعية، فقوفمان Goffman الذي حاوره (إيف وينكن) سنة 1980، أعرب عن رفض تصنيفه في توجه التفاعلات الرمزية، بل ونفى حتى أن يكون للتفاعلات الرمزية واقع، بل اعتبرها تصنيفا نجح في أن يفرض نفسه،مؤكدا أن طلبته الذين جاؤوا بعده لم يقوموا إلا بتأسيس مجموعة متضامنة، صنفت في خانة التفاعلات الرمزية ، هذا الرفض التصنيفي دفع (ايف وينكن) للقول بأن (قوفمان) هو عالم في أنثروبولوجيا الاتصال، حتى و إن أبى هذا التصنيف كذلك، وبعيدا عن تقرير وينكن، فإن الحكم الذي شكل إجماعا من علماء الاجتماع و علماء الأنثروبولوجيا هو أن مساهمة Erving Goffman في التقاء علماء اللغة و الأنثروبولوجيين الأمريكان سنة 1963 كانت أساسية في نشأة توجه أنثروبولوجيا الاتصال .(بالإضافة إلى استفادته من أعمال قوفمان، فإن مجال أنثروربولوجيا الاتصال استفاد كذلك من مفاهيم (جورج هربيرت ميد) و (شارل كولي) حول الفرد، المجتمع و تأسيس الاتصال، (فجورج ميد) تحدث عن الشكل المتكامل للاتصال كنسق، وعن الاتصال في المجتمع الإنساني بقوله: "إن المثل الأعلى للمجتمع الإنساني هو المثل الذي يقرب الأشخاص بشكل حميمي، و الذي يطور النسق الضروري للاتصال بشكل متكامل، ...فمن أجل تطوير الاتصال لا يعني هذا الأمر مجرد تبادل أفكار مجردة، لكن يجب أن نضع أنفسنا مكان الآخر، من أجل الاتصال برموز لها دلالة". وأضاف في ربطه بين الاتصال و التنظيم الاجتماعي :" إن المبدأ الذي اعتبرته دائما أساسيا في التنظيم الاجتماعي الإنساني يتمثل في الاتصال، الذي يعني مشاركة مع الآخر، وهو يتطلب بالضرورة أن يظهر الآخر في الأنا، و أن يتأمثل الأنا في الآخر، وأن نصبح واعين بالأنا بفضل الآخر."، وهو نفس ما عبر عنه زميله في التوجه شارل كولي الذي أكد أنه "في غياب الاتصال لا يمكن لروح الإنسان أن تطور طبيعة إنسانية حقيقية".إن بداية ارتسام طريق أنثروبولوجيا الاتصال من الناحية الأكاديمية، كان سنة 1962من الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تأسس مجال بحثي جديد في الأنثروبولوجيا الأمريكية، مجال بحثي اهتم بدراسة الكلام كظاهرة ثقافية فقط، فقد كان مقال Hymes Dellفي السنة ذاتها حول إثنوغرافيا الكلام ميلادا نظريا لما أصبح يعرف سنة 1964بأنثروبولوجيا الاتصال.

لقد اقترح الأنثروبولوجي و عالم اللسانيات Hymes Dell برنامجا واسعا من الأبحاث حول العلاقات بين اللغة و المجتمع، أطلق على هذا البرنامج اسم :"اثنوغرافيا الاتصال" وكان هدف Hymes هو دفع علماء الأنثروبولوجيا نحو اعتبار اللغة والأشكال الأخرى للاتصال الشخصي كظاهرة ثقافية أساسية .في سنة 1966وبجامعة Pennsylvanie بالولايات المتحدة الأمريكية، تأسست مجموعة عمل بقيادة Hymesللقيام بدراسة مقارنة حول " دور الكلام في مجتمعات مختلفة" ، وكان هدف المجموعة طموحا جدا، يتمثل في جمع كل المعطيات الاثنوغرافية الخاصة بالسلوكيات اللفظية بغية صياغة جدول أولي مقارن، يعطي للتخصص الجديد اتجاهاته البحثية، وكانت نتيجة هذا العمل وثيقة ' تم نشرها في مجلة [1] Texas working papers.

[1] رضوان بوجمعة،مرجع سبق ذكره،ص92-95

وكل هذه الجهود أثمرت بصياغة نموذج الخطاب أو الكلام الذي سنتناوله فيما يأتي، والذي استفدنا منه كثيرا في عملنا الميداني من منطلق انه أعطانا نظرة عن الأدوات التي تمكننا بفضلها من الانتباه للقواعد و الأفعال والإطار و غيرها من المكونات التي تصنع نسقا ثقافيا للاتصال .

دراسة الاتصال كظاهرة ثقافية أساسية، مشروع، بدأت تتحقق بعض معالمه في بداية السبعينيات، حيث بدأت تتوسع النظرةلمجال أنثروبولوجيا الاتصال، لتتحرر من الانشغال اللغوي الذي كان منطلق بداية هذا العلم، على دراسة كل السلوكيات والوضعيات و الأشياء الموجودة عند جماعة معينة على أساس أنها لها قيمة اتصالية Sherzer Joel .الذي يعتبر من أوائل طلبة Hymes Dell ، كان في انتقاداته لأستاذه قد وضع أسسا أخرى وأفاقا لمحتوى الدراسات الانثروبولوجية للانتقال بأنثروبولوجيا الاتصال إلى رحلة جديدة، حيث أكد أن هذه الدراسات من الضروري أن يتم الالتزام فيها بوصف ما يأتي :

السبل والوسائل الاتصالية للجماعات و المجتمعات.

استعمال هذه السبل و الوسائل .

العلاقات المتبادلة بين السبل و الوسائل و أنواع الخطابات و أنواع التفاعل الاجتماعي .

العلاقة بين صيغ و طرق الاتصال وباقي المجالات الثقافية و التنظيم الاجتماعي، و السياسي والاقتصادي و الديني.

تحدث Sherzer Joel في ذات المساهمة عن ضرورة أن تكون لأنثروبولوجيا الاتصال إمكانية تكوين أفراد يكونون قادرين على القيام بأبحاث حول مجتمعاتهم الأصلية، كباحثين ومحللين محليين كمشاركين وملاحظين محليين، وهو انشغال مبني على اعتقاد لدى الكثير من باحثي أنثروبولوجيا الاتصال من أنه من الصعب على الباحثين الذهاب بعيدا في دراساتهم إذا ما كانوا غرباء عن السياقات المحلية موضوع الدراسة في مجال انثروبولوجيا الاتصال .ومن بداية التسعينيات من القرن الماضي ظهر و تأسس بشكل واضح ، التوجه الأساسي في دراسات انثروبولوجيا الاتصال اليوم، وهو التوجه الذي ركز محور الاهتمام بدراسة المألوف في الاتصال، دراسة الفعل الاتصالي اليومي المألوف ، كما يقول Lohisse Jean وهو أحد الأبعاد الأساسية في دراستنا هذه[1].

[1] رضوان بوجمعة،مرجع سبق ذكره،ص96

المبحث الخامس: الاتصال تجربة أنثروبولوجية:

إن التعريف الذي وصل إلى اعتبار الاتصال تجربة انثروبولوجية جاء محصلة مسار اتساع مجال الاتصال في الحياة اليومية، و إرادة الباحثين في التحرر من مفاهيم الاتصال الكلاسيكية، وقد بدأت هذه الإرادة مع عدة باحثين في النصف الثاني من القرن الماضي، و من هذه التعاريف الأولى التي كانت أعطت مؤشرات وجود إرادة لهذا التحرر، تعريف R. Birdwhistell، الذي أكد أن " الاتصال نسق سلوكي مدمج، يقوم بتصنيف وضبط وحفظ السلوكيات، ومنه يجعل هذا الاتصال العلاقات بين الناس ممكنة" [1].

مساهمة أخرى(أ لنيكلاس لومان)، الذي أكد أن "الاتصال كان دائما عملية اجتماعية، إن الاتصال هو العنصر المحدد و المفرق بين الأنساق، وأنساق الاتصال المعقدة، فبدون الاتصال لا يمكن أن نصف المجتمع المعاصر. لأن الأنساق الاجتماعية تتشكل من خلال الاتصال" .كانت مساهمة Paul watzlawickرائد مدرسة بالو ألطو، مهمة كذلك في هذا المجال، حيث تحدث عن الاتصال كلغة للتغيير، وعن إمكانية أن يكون الاتصال مصدرا لتغيير فيزيائي، وهذا بقوله" إن بعض الاتصالات الشخصية ليس لها أثرا فقط في تغيير بعض الأمزجة ، الآراء و المشاعر كما يلاحظ يوميا، لكن يمكن أن تكون في ذات الوقت مصدرا لتغيير فيزيائي لا يمكن أن ينتج بشكل قصدي" ومنه يمكننا الإقرار بأن الاتصال هو ميكانزم التنظيم الاجتماعي، تماما مثلما يكون إيصال وبث المعلومات ميكانيزم السلوك الاتصالي، بالإضافة إلى هذا، وفي 1951، قريقوري باتسون Gregory Bateson (الأنثروبولوجي ذات الأصل البريطاني، و (جورجن روش Jürgen Ruesch (عالم الأمراض العقلية من أصل سويسري، أصدرا في الولايات المتحدة الأمريكية كتابا حمل عنوانthe social matrix of: Communication : psychiatry، فمن قراءة الصفحات الأولى للكتاب اتضح هاجس التحرر من مفاهيم الاتصال التي كانت مسيطرة في ذلك العهد. فالاتصال لا يتعلق ببث الرسائل اللفظية بشكل صريح و قصدي فقط، كما هو مستعمل، بل يتضمن الاتصال مجموع المسارات التي تتأثر من خلالها المواضيع بشكل ودي و متبادل، و سيلاحظ القارئ أن هذا التعريف قائم على أساس أن كل فعل أو حدث يعطي أبعادا اتصالية، عندما يتم إدراكها من قبل الإنسان"[2].

---

[1] Winkin Yves et autres: la nouvelle communication. Editions du seuil France 2000 P157

[2] رضوان بوجمعة، مرجع سبق ذكره،ص ص97،98

ويضيف Jürgen Ruesch أن الإنسان لا يدرك العالم عن طريق التفاعل الاجتماعي و الاتصال فحسب، بل يشكل هذا الاتصال أساسا لتنظيم محيطه .وقد أوضح (جورجن روش Jürgen Ruesch (أنه عندما نقوم بدراسة الاتصال من هذا الموقع الثقافي، لا بد على الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار في إستراتيجية عمله المعطيات التالية :أعضاء المجتمع المبحوث يلتزمون بالتعميم في حديثهم حتى عن الثقافة الخاصة بينهم يجب أن يلاحظ الباحث التفاعل والاتصال بين أعضاء الجماعة كملاحظ محايد . يأتي فهم الباحث في جزء كبير من تفاعله الخاص مع بعض أعضاء الجماعة المدروسة .ومن هذه التعاريف و غيرها أصبح حقل الاتصال يتعلق بالبحث فيه بأكثر من عشر تخصصات على الأقل: الأنثروبولوجيا، علم اللغة، الفلسفة،علم الاجتماع،القانون، العلوم السياسية، علم النفس، التاريخ، الاقتصاد، وعلم النفس الاجتماعي، فهو تخصص متعدد التخصصات و ليس تخصصا واحدا .ومن هذا أصبح مفهوم الاتصال مفهوما واسعا، فكل فعل أو سلوك أو شيء ما يمكن أن يكون حاملا لرسالة اتصالية. و تعتبر الجوانب الثقافية نسقا محركا لكل سلوك اتصالي، وهو ما أوضحه علماء الأنثروبولوجيا كما هو حال (ايف وينكن)، الذي أكد أن " امتداد الاتصال في الأنثروبولولجيا يجب أن يكون مرتبطا بامتداد الاتصال في الثقافات و الجاليات على الدراسة الاثنوغرافية التي تقوم عليها الوقائع و النظريات الأنثروبولوجية. في كل ثقافة أو جماعة، فإن السلوك والأشياء يتم تنظيمها، واستعمالها،والتردد عليها و تأويلها بشكل انتقائي وفق قيمتها الاتصالية" .إن الاتصال هو تجربة انثروبولوجية قبل كل شيء، لأن الاتصال هو حقيقة في الواقع، ونموذج ثقافي في حد ذاته، وهو أمر محسوم بالنسبة للأنثروبولوجيين، فأن تتصل هذا يعني أن تبادل شيئا ما مع الآخر، فلا يوجد و ببساطة حياة فردية و لا جماعية بدون اتصال، وكل تجربة شخصية أو تجربة أي مجتمع تقتضي تحديدا لقواعد الاتصال، وبما أنه لا يوجد أناس بدون مجتمعات، فمن الطبيعي أن لا يوجد أي مجتمع في غياب الاتصال .الاتصال هو تجربة أنثروبولوجية، حيث يؤكد علماء الأنثروبولوجيا و المؤرخون على أنه لم يسبق وأن كان هناك اتصال لذاته، فالاتصال كان دائما مرتبطا بنموذج ثقافي، بمعنى عبرتماثل الآخر[1]

[1] رضوان بوجمعة، مرجع سبق ذكره،ص98-100

ملخص

إن الجسم بمختلف أبعاده يتحدث عّنا ويعبر عن ما بداخلنا من عواطف و مشاعر. وينقل أفكارنا ومواقفنا بدون أن نتلفظ بأية كلمة. فعندما تتوقف الشفتين عن الحركة، تبدأ رقصات الأصابع وحركات العيون في استعراض دلالي، تارة نكون واعين بها وأخرى لا .ولعل هذا ما جعل هذا الشكل من التعبير أبلغ وأصدق من الكلمات والألفاظ.
وباعتبار أن الإنسان لا يستطيع أن لا يتصل، فانه يبعث ويستقبل رسائل باستمرار. والتي تنقل من خلال الحركات، ووضعية الجسم، وطريقة المشي والنظرات، والصمت، والحضور أو الغياب، وكذا من خلال طريقة اللباس.
وهذه الرسائل غنية بالمعلومات التي تكشف عن بعض جوانب شخصية الأفراد وتعبر عن حالتهم العاطفية .كما أنها تعكس انتماءاتهم الثقافية . لأن سلوكاتهم تخضع لمحددات ثقافية ومعايير اجتماعية تختلف من ثقافة لأخرى، ومن مجتمع لآخر.

الفصل الثالث: الثقافة الشعبية وأهم تماثلاتها

مقدمة

تعد الثقافة الشعبية ظاهرة اجتماعية وثقافية من الطراز المتواتر، حيث تمثل العامل المشترك لثقافة كل المجتمعات بلا استثناء، مع اختلاف قيمتها العلمية والمعرفية، ومكانتها في حقل الانتاج المعرفي، فالثقافة الشعبية تعبير أساسي ومعقد للمجتمع في وجوده الماضي والآني وحتى الآتي، فهي تمثل الممارسة الحاملة لمعنى كما أنها القاعدة المعقدة للمعايير الاجتماعية والميولات الثقافية والتواترات التعبيرية التي تظهر في الانتاجات التي يعرف أفراد المجتمع فيها ثقافتهم ويجدون مباشرة علامات هويتهم. فالثقافة الشعبية تمثل كل التماثلات الجماعية للحياة المعيشية الفعلية منها والموجودة، المتمثلة في تطلعات الجماعة ورغباتها ومعتقداتها، وفي نظرتها للحياة، والتي يعبر عنها بطريقة شفوية، وهذا التعبير محدد في أشكال تعبيرية متعددة (القصة – الأسطورة – النكتة – الشعر – الأمثال والحكم ...)، وكذا في بيانات وتظاهرات سلوكية (حفلات شعبية – رقص – طقوس – ممارسات – ولائم واجتماعات ...) وهذا ما يسميه البعض بالفلكلور مع اختلاف في حدة هذه التظاهرات ووظائفها داخل المجتمع وعلاقاتها مع البنية الاجتماعية العامة .

ووفقا لما سبق، نقف أمام إشكالية يطرحها واقع وآفاق الثقافة الشعبية في الجزائر، ذلك أننا نصطدم بسؤال معرفي هام مفاده كيفية وضع الثقافة الشعبية في الاطار العلمي والأكاديمي الذي يسمح بتحديد المعايير الاجتماعية والميولات الثقافية التي تحملها التعبيرات المختلفة لهذه الثقافة و ستناول في هذا المبحث من الثقافة عموما وصولا إلى الثقافة الشعبية بكل أبعاده

المبحث الأول: التواصل الشعبي

تعددت المقاربات والأبحاث التي تجعل من "مفهوم الثقافة الشعبية" موضوعا أساسيا ومحور التفاعلات البشرية داخل المجتمعات. فهناك المقاربة الأدبية التي تختزل الثقافة الشعبية فيما اصطلح عليه بـ"الأدب الشعبي" أو "الأدب الشفوي". وهناك المقاربة التاريخية التي ترصد المواقف الشعبية تجاه الأحداث التاريخية والسياسية. وهناك المقاربة الأنتروبولوجية والإتنوغرافية التي تسعى إلى وصف الثقافة كتعبير عن عقلية بشرية معينة. وهناك كذلك مقاربات جغرافية ونفسية وعلمية وتربوية... وتعدد المقاربات دليل على تنوع مادة الثقافة الشعبية وتشعبها وتعقدها.

والثقافة الشعبية هي ذلك الموروث الثقافي الذي ترثه الأجيال اللاحقة عن الأجيال السابقة على شكل مادي أو روحي رمزي. وهي ثقافة حية متداولة يوميا غير خاضعة لقوانين وقواعد مكتوبة أو مدونة وهي أخيرا عفوية وشفوية وعادية.

ولكن أهم تعريف للثقافة الشعبية يكمن في افتراض أنها ثقافة مرتكزة على محورية الجسد البشري. فهي ثقافة الجسد كوسيط للتبادل الرمزي والفكري وبالتالي فهي تتحدد من خلال كونها مقابلا لثقافة النخبة العالمة والثقافات الإعلامية والمعلوماتية.

ومن المؤكد أن كل هذه المقاربات والتعريفات قد أغنت مفهوم الثقافة الشعبية وطورت مجالها. ولكن لا بد من الإشارة إلى أن جل هذه المقاربات تبقى ذات مردودية وفعالية علمية محدودة ولم ترق إلى الوصف الدقيق والمتأني والتحليل العلمي المنهجي. ويبقى البعد الانطباعي والمعياري هو أهم خاصية تميز جل هذه الأبحاث. بالإضافة إلى ذلك هناك تداخل البحث العلمي المحض بالأبعاد الإيديولوجية والسياسية إلى درجة أن الثقافة الشعبية كانت في عدد كبير من الأحيان مطية وفرصة لإنتاج خطاب سياسي شعبوي خال من الموضوعية العلمية، ولعل إهمال البعد التواصلي في الثقافة الشعبية هو خير دليل على الانطباعية والواقعية الساذجة التي طبعت هذا النوع من الأبحاث[1].

[1] يوسف آيت هامو, مرجع سبق ذكره

لكل هذه الاعتبارات نرى بأنه من الضروري اقتراح مصطلح ومفهوم أكثر وضوحا وأكثر مردودية هو مفهوم "التواصل الشعبي". ويحيل هذا المفهوم على كل الظواهر التواصلية التي تتبني على نية التبادل الرمزي في إطار فضاءات شعبية وانطلاقا من التصور الشعبي لعملية التواصل وللطبيعة وللمعرفة.

وتكمن أهمية هذا المفهوم في النقاط التالية:

1 . يستفيد مفهوم التواصل الشعبي من نتائج نظرية التواصل ومن مناهج وأنساق مفاهيمية بارزة. في علوم اللسانيات والتحليل النفسي والتحليل الاجتماعي.

2 . يوجه الانتباه نحو كل ما له علاقة بالتواصل بدل التبعثر في متاهات ما يسمى بالثقافة الشعبية

3 . لا يهتم هذا المجال بكل ما هو فولكلور

4 . إن التواصل هو أساس المجتمعات وركيزة الحياة الاجتماعية وهو بالتالي يستحق الدراسة العلمية والمتأنية والنفعية.

5 . ويسمح مفهوم التواصل الشعبي برصد كل الرموز اللغوية وغير اللغوية وتصنيفها وتحليلها علميا

6 . وما يميز هذا المفهوم هو ابتعاده عن كل ما هو إرهاصات إيديولوجية وسفسطة وانطباعية واقترابه من الرياضيات والمنطق. إن الظواهر الشعبية في حاجة إلى دراسات رياضية ومنطقية وسيميولوجية تسمح بتصنيفها بطريقة جيدة قبل الشروع في أي مغامرة تفسيرية أو تأويلية.

7 . إنه مفهوم واقعي وموضوعي. كما أنه يسمح بدراسة الظواهر التواصلية كمادة علمية محسوسة يمكن قياسها رغم تداخلها مع الأبعاد الروحية والرمزية.

8 . لقد أكدت اللسانيات والسيميولوجيا فعاليتهما في دراسة الظواهر التواصلية البشرية، ويبقى التساؤل: فلماذا لا توظف هذه الدراسات والمناهج لصالح التواصل الشعبي؟

9 . يجمع المفهوم بين مفهومين متناقضين ظاهريا، التواصل الذي هو خاصية بشرية والشعبي هو ظاهرة محلية واجتماعية.

لكل هذه الاعتبارات يمكن اعتبار مفهوم التواصل الشعبي أداة علمية أكثر موضوعية وأكثر فعالية في دراسة أنماط التبادل الرمزي بداخل المجتمعات وبداخل الشرائح الاجتماعية[1].

[1] يوسف آيت همو مرجع سبق ذكره

المبحث الثاني: خصائص التواصل الشعبي

إن أهم المميزات التي ينفرد بها التواصل الشعبي عن غيره من أنماط التواصل هي كالتالي:

1 . ينبني التواصل الشعبي على محورية الجسد كوسيط. وأهم الأنساق المرتبطة بالجسد نجد:

. أنساق لغوية تشكل موضوعا للسانيات والسوسيولسانيات والتداوليات (نكت، أمثال، حكايات، أناشيد)

. أنساق غير لغوية بصرية مثل الإيماء، الرقص، الحناء، اللباس، التموضع في الفضاء، فنون شعبية،

. أنساق غير لغوية سمعية مثل الموسيقى، المحاكاة الصوتية، الضجيج الرمزي، الصراخ، الغناء.

. أنساق شمية مثل العطور والروائح حسب العادات الدينية والطقوس التواصلية التقليدية، روائح الأطعمة، روائح إشهارية..

. أنساق ذوقية مثل الطبخ، رمزية المأكولات، رمزية الخضر والفواكه واللحوم والمشروبات، طقوس الأكل والشرب.

. أنساق لمسية مثل التحية، القبلة، العراك، الطب،

أنساق مرتبطة برمزية الأشياء والآلات واللعب

. أنساق مرتبطة برمزية الفضاء (مساجد، حمامات، الديكور المنزلي..).

ومن المؤكد أن محورية الجسد تنفي الاستغلال الشعبي للوسائط التواصلية الأخرى كالكتابة والمذياع والتلفزة والهاتف...

2 . يتميز التواصل الشعبي بالاستمرارية وبالتجدد، استمرارية زمانية بين الماضي والحاضر والمستقبل ومكانية بين المجتمعات المختلفة. أما التجدد فهو تجدد الأفكار والوسائط والمعطيات.

3 . لا يخضع التواصل الشعبي لأي شكل من أشكال التنميط الجماهيري. إنه تواصل الاختلاف والتعددية.

4 . وهو كذلك يجمع بين البعد الكوني والبعد المحلي. فكل البشر يتقاسمون الجسد ولكن المجتمعات تختلف من خلال العلاقات الداخلية ومن خلال أنماط التبادل الرمزي.

5 . وأهم فضاءات التواصل الشعبي هي العائلة والشارع والفضاءات العمومية والساحات العمومية..

8 . يبقى التواصل الشعبي كأقدم صنف تواصلي عرفته البشرية.

9 . ومن خصائصه كذلك: أنه غير جماهيري، ثنائي الجانب، تحكمه ضوابط التواصل الأفقي، وهو ينبني على استغلال أنساق مختلفة ومتنوعة.

10 . يبقى التواصل الشعبي كنوع من أنواع التواصل العام.

11 . ولا يمكنه التحقق إلا في زمان معين (الآن) ومكان محدد (هنا)[1]

[1] يوسف آيت همو، مرجع سبق ذكره

المبحث الثالث : مفهوم الثقافة الشعبية

لقد شكلت الثقافة الشعبية موضوعا خصبا لمسجلات معرفية حاولت تحديد تعريف علمي صارم لها، فذهب البعض إلى اعتبارها تمثل إنتاجات الطبقات الشعبية من فنون قولية تعبيرية وسلوكيات اجتماعية وطقوسية وكذا عقائدية وأساطير... الخ، وبذلك امتزج مفهوم الثقافة الشعبية بمفهوم الفلكلور، فقد "فضل بعض الدارسين المهتمين بموضوع الثقافة الشعبية مصطلح الفلكلور لشساعة فضاءاته الموضوعاتية من جهة ومن جهة أخرى لماهيته العلمية، حيث اقترن اسمه بعلم جديد استطاع أن يضع لنفسه مكانة معرفية خاصة ومميزة بجانب العلوم الاجتماعية والإنسانية وهو علم الفلكلور، والذي يتناول دراسة ثقافة المجتمعات وآثارها المادية في مرحلة الحضارة التي سبقت مرحلة التحديث المعاصرة، حيث وجد العطاء الحضاري للإنسان من خلال ذاته المرتبطة بالجماعات الفطرية كالأسرة والمجتمع المحلي اللذين يضمنان رعاية فردية للإنسان وإطاره الذاتي، كما تشمل الدراسة الفلكلورية خبرة الإنسان الفكرية والمادية والآثار التي تركها في هذا المجال". في حين أن البعض نادى بمصطلح "الثقافة الشعبية"، غير أن الساحة العربية، عموما، لم تخل من مساجلات حول مفهوم مصطلح "الشعبية"، والمشتق دلاليا من كلمة "شعب"، فقد عنى به البعض " مجموع أفراد الأمة بمختلف طوائفه وطبقاته، وهو بذلك صفة تجمع الجماعة وليس صفة فصل طائفة أو طبقة عن الأخرى، كما هو مقصود بالمفهومين السياسي والاجتماعي، فالمفهوم السياسي للكلمة يعني الطبقة الفقيرة من المجتمع.

وهكذا نادى البعض بضرورة توسيع مفهوم "الشعب" ليشمل مختلف الطوائف المشكِّلة للجماعة والتي ترتبط عضويا بمفهوم "الأمة"، محاولا بذلك تخليص المصطلح ريقة التموضع في خانة مفهوماتية خاصة.

وبما أن الشعب ضارب في انتمائه وهويته في جذور الحضارة الإنسانية، وميزته الخلود والبقاء، فإن كلمة الشعبية عندما نطلقها على أي شيء لا بد وأن يتسم هذا الشيء بالانتشار أولا ثم الخلود ثانيا... أي الانتشار والتوزع والتباعد المكاني والزماني، أو بمصطلح آخر "التداول والتراثية ". فالشعبية، ومن هذا المنطلق "صفة لكل مايصدر عن الشعب قولا، ممارسة، سلوكا وتصورا للحياة وللأشياء ويندرج ضمن هذه الدائرة المفهوماتية لمفهوم الشعبية أيضا كل ما هو موجه للاستهلاك الشعبي، سواء أكان ماديا أو معنويا" بيد أن هذا المصطلح لم يكن محل إجماع من لدن الدارسين والمثقفين العرب، حيث رفض الكثير استعماله، وحاولوا جاهدين البحث عن مصطلح بديل أكثر شمولية واتساعا وأقدر على تمثيل القضايا والظواهر التي تدرسها الثقافة الشعبية.[1]

---

[1] أحمد أوراغي، الثقافة الشعبية: الحضور المعرفي والقيمة الدراسية، مجلة دليل الكتاب، http://www.dalilalkitab.net/

ويبدو أن الإيديولوجية كان لها حضورها في أبجديات الرفض المعرفي والاصطلاحي لكلمة "الشعبية"، إذ "تعود أسباب وتعليلات هذا الرفض إلى الرأي القائل أن مصطلح الشعبية ايديولوجي لا يجد مبررا، للاستعمال والتداول إلا في المجتمعات الطبقية التي تقسم مسألة السلطة والهيمنة ومواطنيها إلى طبقة مسيطرة مهيمنة وطبقة خاضعة محكومة ...ولكل من الطبقتين رؤياها وتصورها عن الواقع، تصوغ بها أيديولوجيتها المعروضة على واجهة ثقافية، وفي هذه المجتمعات يصطلح على ثقافة الطبقة المسيطرة بالثقافة الرسمية مقابل الطبقة المحكومة المهيمن عليها [1]". ومن ثم تكون الثقافة الشعبية بمثابة محصلة معرفية لإبداعات الجماعة واهتماماتها وكذا دراسة أنماطها التعبيرية القولية منها والسلوكية .

ويبدو أن دخول هذا الضرب من الدراسات إلى الثقافة العربية إنما كان وليد الشرق بالحضارة الغربية، إذ يرجح عدد من الدارسين ظهور الدراسات الشعبية في الوطن العربي إلى "عدد من الدارسين العرب الذين درسوا في جامعات الغرب وتأثروا بما كان يجري هناك من تحولات ثقافية وحضارية واجتماعية كان من أهمها تغيير نظرة الباحثين والدارسين إلى الثقافة الشعبية باعتبارها جزءا من الثقافة الإنسانية". في حين يذهب البعض إلى أن الدراسات الفلكلورية /الشعبية في المجتمعات العربية ليست وليدة العصر الحديث، بل أن "الاهتمام بهذا النوع من الدراسات له جذور أعمق في التاريخ، ولكي نعرف ذلك يمكننا الرجوع إلى أواخر القرن السابع الميلادي لنرى وهب بن منية وعبيد بن شرية الجرهمي وكعب الأحبار، وما قاموا به من رصد ما عرفه العرب من أساطير حول نشأة الكون وقصص بدء العالم وظهور اللغات ونشأة اللغة العربية وكثير من الإسلاميات"وكذلك كان ابن خلدون فلكلوريا، قدّم أسس علم الفلكلور وفكرته في الجزء الأول من كتابه العبر في ديوان المبتدأ والخبر، فعقد فصلاً ممتازا عن اللهجات العربية وظروف نشأتها وطبيعة علاقتها بالفصحى ثم يبين أثرها في المجتمع وأشار إلى ضرورة دراستها والاهتمام بها. ومن ناحية أخرى تعرض، ابن خلدون، لِسِيَرنا الشعبية منوها بأهميتها الأدبية، فسجل بعض نصوصها وحلل طرائقها وخصائصها ووضّح طرق تداولها وإنشائها" .والتاريخ الفكري للعرب مليء بمثل هذه المبادرات المعرفية التي سجلت بصدق فلكلور الأمة العربية وتراثها الشعبي، ومن ذلك كتب ابن المقفع والجاحظ والأبشيهي وغيرهم. ومنه يمكننا القول أن الريادة في مجال الدراسات الشعبية "إنما كانت عربية إسلامية محضة، عكس ما يحاول البعض الترويج له من خلال رد هذه الدراسات إلى اطلاع العرب على أعمال الغرب وتأثرهم بها. غير أن المُلاحظ للساحة المعرفية الجزائرية يقف – ويأسف – على خلو هذه الساحة من التأسيس المعرفي لاصطلاح الثقافة الشعبية، بل وعدم الاهتمام بها كحقل دراسي له من القيمة المعرفية ما يؤهله لأن يضطلع بمهام حثية هامة، وكل ما نراه على هذه الساحة لا يسد الفضول المعرفي للباحث عن استجلاء القيم المفهوماتية النظرية، خصوصا للحقول الدراسية للثقافة الشعبية[2]

---

[1] أحمد أوراغي، الثقافة الشعبية: الحضور المعرفي والقيمة الدراسية، مجلة دليل الكتاب، /http://www.dalilalkitab.net

[2] أحمد أوراغي، الثقافة الشعبية: الحضور المعرفي والقيمة الدراسية، مجلة دليل الكتاب، مرجع سبق ذكره

المبحث الرابع: أشكال الثقافة الشعبية

تنقسم الثقافة الشعبية إلى قسمين: ثقافة مادية وثقافة لامادية أومعنوية فكل الأشياء الطبيعية التي يصنعها الإنسان تعتبر ثقافة مادية وتتمثل هذه الأشياء في طرق إعداد الطعام والمناسبات التي يقدم فيها، وأشكال الزي وأنماط المساكن والأثاث والأدوات المستخدمة..إلخ وغيرها من مظاهر الحياة وكل مايتصل بالإنتاج والتكنولوجيا والإختراعات التي تحدث مثل هذه الأشياء.

أما الثقافة غير المادية فهي كل خواص الثقافة التي يكتسبها الإنسان ويتوارثها وتؤثر على كافة جوانب حياته كالمعايير والقيم والمعرفة والمعتقدات والأمثال والأغاني والقصص الشعبية وغيرها وسوف نعرض كل منها:

1 الثقافة المادية:

تشمل الثقافة المادية مجموع رصيد التكنولوجيا والمصنوعات المادية لدى الجماعة البشرية والتي تتضمن العناصر المرتبطة بأنشطة توفير المعاش، وكذلك العناصر التي أنتجها الإنسان لأغراض الزينة والفن والطقوس وترتبط دراسة الثقافة المادية من ناحية بعلم الآثارعلى أساس أن الشواهد المادية على وجود شعب معين غالبا ماتكون هي الشواهد الوحيدة المتاحة التي تشير إلى ثقافتهم وترتبط دراسة الثقافة المادية من ناحية أخرى بأنثروبولوجيا الفن والموسيقى والرقص والرمزية والشعائرية بالإظافة إلى أنثروبولوجيا الإنسان التكنولوجية.[1]

[1] فاتن محمد شريف، الثقافة والفلكلور(ط1، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2008، ص53-55

2 الثقافة اللامادية:

نصت اتفاقية اليونسكوالصادرة في باريس في تشرين الأول حول (حماية التراث الثقافي غير المادي) على الإعتراف بأهمية التراث الثقافي غير المادي(بوصفه بوتقة للتنوع الثقافي وعاملا يضمن التنمية المستديمة). وأقرت الإتفاقية بأن هذا التراث ينقل من جيل إلى آخربصورة مستمرة بين الجماعات بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها منميا لديها الاحساس بهويتها والشعورباستمراريتها في ضوء احترام الجماعات لبعضها واحترام توجهاتها.

وقد حددت الاتفاقية مواد التراث الثقافي غير المادي بالمجالات الآتية:

- التقاليد وأشكال التعبير الشفهي بما في ذلك اللغة واسطة للتعبير.
- فنون وتقاليد اداء العروض.
- الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات.
- المعارف والممارسات المتعلقة بالكون والطبيعة.
- المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية.

إن هذه الوثيقة العالمية لحماية ثقافة الشعوب غير المادية تنطوي على التأكيد على أهمية هذا التراث وضرورة اهتمام الحكومات به واحترام تقاليد الجماعات الشعبية داخل حدود الدولة بما يعزز الوحدة الوطنية ويؤكد الهويات المحلية للجماعات في سياق تأكيد حرية الفرد والمجموعات داخل الوطن الواحد. والفلكلورمصطلح متعارف عليه في كل لغات العالم وتعني حكمة الشعب أو معارف الناس أو ما يعرف بالإبداع الشعبي الشفوي المتغلغل بين الجماهير الواسعة العريضة فهو صدى الماضي البعيد وصوت الحاضر المدوي ويرتبط الفلكلور بحياة الشعب ارتباطا وثيقا بطقوسه وعاداته وتقاليده وعلى صفحته تنعكس خصائص مختلف المراحل التاريخية[1].

[1] فاتن محمد شريف ، الثقافة والفلكلور(ط1، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2008)،ص56-57

الفصل الثالث : الاتصال وتمثلات الثقافة

المبحث الأول: مفهوم الثقافة

إن موضوع الثقافة من الموضوعات الحيوية الهامة في الدراسلت الأنثروبولوجية وذلك لأنها عماد الحياة الإنسانية وهي المحيط الذي يخلقه المجتمع ويعيش معه ومن خلاله يؤمن احتياجات الإنسان المادية والمعنوية.

يعد التعريف الكلاسيكي للثقافة هو ذلك المأخوذ عن تايلور Taylor الذي يعتبره الكثيرون مؤسس الأنثروبولوجيا الثقافية الحديثة, ويقول تايلور في كتابه "الثقافة البدائية 1871"
الثقافة أو الحضارة بالمعنى الإثنوغرافي_ الوصفي التحليلي_ الواسع "هي ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعرفة والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعادات."

المفهوم اللغوي للثقافة:

على الرغم من سيادة لفظ "ثقافة" كمرادف للفظ الأنجليزي" culture", إلا أن هناك اختلاف كبير في الدلالات الأصلية بين المفهومين في اللغة العربية واللغة الأنجليزية
تشتق كلمة الثقافة في اللغة العربية من "ثقف" أي حذق وفهم وضبط مايحويه وقام به, وكذلك تعني: فطن ذكي ثابت المعرفة بما يحتاج إليه, وتعني: تهذيب وتشذيب وتسوية بعد اعوجاج.
كما أن مفهوم "الثقافة" ينبع من الذات الانسانية ولايغرس فيها من الخارج.
ويعني ذلك أن الثقافة تتفق مع الفطرة, وأن مايخالف الفطرة يجب تهذيبه, فالأمر ليس مرده أن يحمل الإنسان قيما–تنعث بالثقافة– بل مرده أن يتفق مضمون هذه القيم مع الفطرة البشرية.
ومن أبرز التعريفات التي أوردها علماء الأنثروبولوجيا للثقافة نذكر:

1. تعريف كيلباترك Kilpatrick الذي يقول بأن الثقافة "هي ما صنعته يد الإنسان وعقله من أشياء ومظاهر في البيئة الإجتماعية، أي كل ما إخترعه الإنسان أو ما اكتشفه وكان له دور في العملية الإجتماعية.."
2. تعريف كلوكهون kluckhon جاء فيه بأن الثقافة هي:"..وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ، الظاهر منها والضمني، العقلي واللاعقلي، التي توجد في وقت معين والتي تكون وسائل إرشاد توجه سلوك الأفراد في المجتمع".[1]

[1] فاتن محمد شريف، **مرجع سبق ذكره**، ص15

الثقافة بمعنى من المعاني هي الجانب الفكري والروحي لمجتمع ما ولحضارة ما.
لذا فهي مرتبطة بلغة وبشعب معينين مما يسمح لنا بالقول إن هناك ثقافة فرنسية ضمن الحضارة الأوروبية وهناك ثقافة عربية ضمن الحضارة الإسلامية، فتكون الثقافة بهذا المنظور المثال هي الجزء والحضارة هي الكل وتتميز الثقافة عند"منتاجو"بالصفات الآتية:

1 -أنها اختراع أو اكتشاف انساني وهي ميزة للإنسان عن الحيوان.
2 -أنها تنتقل من جيل إلى آخر على شكل عادات ونظم وتقاليد كما تنتقل من وسط اجتماعي إلى آخر.
3 -أنها قابلة للتعديل والتغير[1].

[1] فاتن محمد شريف، مرجع سبق ذكره، ،ص 17

المبحث الثاني: الاتصال بين الثقافات

هو الاتصال الذي يتم بين أبناء الثقافات المختلفة.

والثقافة هي مجموعة من القواعد المشتركة التي ترشد فكرنا وسلوكنا واتجاهاتنا وتساعدنا على تقييم سلوك واتجاهات الآخرين.وتتكون الثقافة من عنصرين:

العنصر غير المادي: ويتمثل في النظام السياسي والديني والاقتصادي والعادات والاخلاق والتقاليد والقيم والمعايير واللغة والمعرفة المشتركة بين أفراد المجتمع.

العنصر المادي: ويشمل الاعمال الفنية والملابس والنباتات والصناعات والأشياء المحسوسة الأخرى. فالثقافة هي الإنتاج الإنساني الفكري والمادي. وهي طريقة الحياة المشتركة بين مجموعة من الناس، فحياتنا ولغتنا وطعامنا وتفكيرنا وسلوكنا وعلاقاتنا بالآخرين تتأثر بالثقافة . وتتغير الثقافة بتغير الأزمان والأماكن والناس. كما أن لكل أمة ثقافتها الخاصة بها.

فماهو الاتصال بين الثقافات؟

الاتصال بين الثقافات:" الاتصال الذي يتم بين أعضاء ثقافات مختلفة" ويهدف هذا النوع من الاتصال إلى إحلال التفاهم والتخلص من الصراع أو سوء التفاهم بين أبناء الثقافات المختلفة.

قالى تعالى" ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إم أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"[1]

[1] إبراهيم أبو عرقوب، مرجع سبق ذكر،ص ص140،141

المبحث الثالث: تاريخ وأنواع التواصل:

تواكب قضايا وأزمات التواصل الإنسان منذ نشأة المجتمع ويعيش الفرد تعقيدات وخصائص التواصل منذ الولادة. فالحياة هي التواصل والتواصل هو الحياة.

ويمكن التمييز بين التواصل والوعي بالتواصل. فالتواصل خاصية طبيعية ترافق البشرية منذ البداية وهو عملية آلية وضرورة بيلوجية. أما الوعي به فهو خاصية ثقافية مجردة مرتبطة بتطور الفكر الفلسفي والنقدي حول حدود التواصل في الزمان وفي المكان. وهذا الوعي هو الذي ساهم بالدرجة الأولى في تطور تقنيات ونماذج التواصل. فبفضله اخترع الإنسان التواصل الشفوي عبر الأصوات وطور التواصل عبر الجسد وعبر أدوات طبيعية. ولعل أن أهم الحوافز على تطور التواصل تكمن في البحث عن ذاكرة مثالية تحفظ كل المعلومات لمدة أطول، وعن التفاعل مع أكبر عدد من الأشخاص وعن التعبير بطريقة أقل إبهاما وأكثر وضوحا.

ومن ثمة يمكن القول بأن تاريخ التواصل متعدد ومختلف حيث أن هناك تاريخ مضامين التواصل، وهناك تاريخ مجالاته، وتاريخ المساهمين فيه وتاريخ أنواعه..

وهنا سوف نركز الاهتمام حول تاريخ الوسيط التواصلي. وفي هذا الشأن نلاحظ بأن هناك أربع مراحل مر منها التواصل البشري وهي:

1 . تواصل جسدي شخصي يرتكز على استعمال الجسد كوسيط للتفاعل وتبادل الرموز والأفكار. وعرفت هذه المرحلة تطوير التواصل بالإيماء وبالأصوات وبالشم وبالذوق وباللمس ثم باللغة.

وهو أقدم تواصل عرفته البشرية، كما أنه تواصل كوني تعرفه كل الشعوب منذ البداية. وينشأ الطفل بداخله ومن خلاله.

2 . تواصل بالرموز المكتوبة وهو خاص بنخبة داخل المجتمعات التي تمتلك أدوات الإنتاج وآليات الكتابة والقراءة. وهذه النخبة إما دينية، أو سياسية أو اقتصادية أو علمية أو كل هذه الخصائص مجتمعة.

وتمتد هذه المرحلة منذ ظهور الإرهاصات الأولية للكتابة، هذه التكنولوجيا المتطورة التي تسمح بحفظ الذاكرة عبر الزمان في ركائز مادية (ورق، حجر، جلد..) وبنقل المعلومات من فضاء لآخر. ولقد مرت الكتابة عبر مراحل ثلاث: مرحلة الرسومات البدائية، مرحلة كتابة الأفكار (الخط الصيني مثلا) ومرحلة الحروف الهجائية[1].

3 . تواصل جماهيري يسمح للنخبة بالتواصل وبإخبار شرائح عريضة من المجتمع وذلك من خلال الحرف والصوت والصورة. فبفضل اختراع الطباعة وآلات التواصل الجماهيري السمعي البصري (مذياع، تلفاز، سينما، فيديو...) تحولت عملية التواصل البشري وأصبحت أكثر سرعة وأكثر فعالية وذات حيز واسع.

---

[1] محمد عابدالجابري، التواصل نظريات وتطبيقات (الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،بيروت ط 1،لبنان، 2010، ص219،220

بل أصبحت أكثر من ذلك، فهي اليوم سلاح فتاك يستغل في الحروب الباردة والساخنة قصد الإخبار والتعتيم وتوجيه الآراء والاستحواذ على الأفكار والأحاسيس والتنميط والعولمة. إن سلطة القرن 21 هي سلطة وسائط الأخبار والإعلام الجماهري.

4 . تواصل رقمي يرتكز على استغلال الأنترنيت والأقراص المدمجة والحقائق الافتراضية قصد التفاعل بين الأفراد وقصد توجيه الآراء والتحكم في الجماهير.

إن هذا النوع الأخير هو في الأصل تركيب للأنواع الثلاثة السابقة: فهو يمزج بين التواصل الجسدي حيث أن الفرد يحقق تواصلا مع فرد آخر موجود بمكان آخر وأن أغلب الوسائل المستعملة في هذا الإطار تبقى مرتبطة بالأصوات وبالكتابة وبالصور. ومن الملاحظ أن كل فرد، خاصة في المجتمعات المتقدمة، بإمكانه التواصل والتفاعل اليوم من خلال هذه الوسائط الأربعة، بل إنه مجبر على استغلال كل هذه الوسائط إذا ما قصد التحصيل والمعرفة والتربية الذاتية والتبادل الرمزي. وهذا يعني أن هذه المراحل ليست في علاقة تنافرية بل يمكنها أن تتعايش وتتكامل.

ومن الملاحظ كذلك أن تطور وسائط التواصل هو عبارة عن تطور المجتمعات البشرية وتعقد العلاقات بين الأفراد وتداخل المجموعات وعن الرغبة في تجاوز نقائص الجسد وتفادي ضعف الذاكرة الإنسانية والبحث عن السرعة والشمولية. ولعل من الضروري التأكيد هنا على أن تطور المجتمعات يشمل التطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعلمي والتكنولوجي. فاختراع السينما مثلا يوازي تطور تقنيات التصوير والفكر الليبرالي والاستعماري والرغبة في اكتشاف العالم دون تجاوز الحدود وتطور وسائل الترفيه الجماهيري. أما المذياع فيواكب تطوره وتعميمه الحرب العالمية الثانية. أما الأنترنيت اليوم فهو نتيجة للعولمة الاقتصادية والثقافية الأمريكية كما أنه فاعل في التبادلات التجارية والعلمية والإيديولوجية[1].

وفيما يخص أنواع التواصل، يمكن تصنيفها كالتالي:

1 . هناك التواصل اللساني، اللغوي، الشفوي الذي يرتكز على استعمال القدرة اللسانية المتواجدة بالدماغ وعلى أجهزة النطق الشفوي.

وتهتم اللسانيات الحديثة (صوتيات، علم المعجم، علم الدلالة، علم التركيب...) بكل الخصائص والتشكلات المرتبطة بهذا المجال.

2 . هناك التواصل الرمزي غير اللساني وهو يشمل كل أنساق التواصل غير اللغوي التي هي: التواصل البصري (الإيماء، التموضع في الفضاء، اللباس، الرقص، الصور، المعمار، الماكياج...)، التواصل السمعي (الموسيقي، الضجيج، الأصوات غير اللغوية...)، التواصل الشمي عبر استغلال الروائح الطبيعية والعطور الاصطناعية، التواصل الذوقي (الملح، السكر، النيء/المطهي، أشكال الأطعمة، طقوس الأكل..)، التواصل اللمسي مثل طقوس التحية والطلب وطقوس العنف.

[1] محمد عابد الجابري،مرجع سابق الذكر،ص220،221

3 . التواصل التكنولوجي وهو يرتكز على استعمال التكنولوجيا لأغراض تواصلية وتفاعلية (المذياع، الهاتف، الأنترنيت، السينما...)

4 . التواصل عبر الأشياء والأدوات اليومية التي بالإضافة لدورها النفعي العادي تضاف إليها وظائف رمزية وتواصلية.

5 . التواصل مع الحيوانات حيث أن الإنسان طور لغة خاصة بالتخاطب مع الحيوانات الداجنة (قط، لب، دجاج...) وبالموازاة مع هذه الأصناف التواصلية، يمكن اقتراح تصنيف آخر مبني على الخصائص العلائقية والبنيوية. وفي هذا الصدد، نجد:

أ . التواصل الخاص في مقابل التواصل العمومي (الرسالة الشخصية في مقابل الخطاب التلفزي)

ب . التواصل الأحادي الجانب (التلفزة، الصحافة...) في مقابل التواصل الثنائي الجانب (التخاطب بين شخصين)

ج . التواصل العمودي (بين أفراد على مستويات اجتماعية أو مهنية متفاوتة) في مقابل التواصل الأفقي (بين أفراد على نفس المستوى الاجتماعي أو المهني).

د . التواصل بيثقافي في مقابل التواصل بداخل ثقافة واحدة

هـ . التواصل عبر أنساق رمزية مختلفة في مقابل التواصل عبر نسق رمزي واحد.

و . التواصل الشعبي في مقابل التواصل العالم

ي . التواصل الديني في مقابل التواصل العلماني[1]

[1] يوسف آيت هامو, http://www.aljabriabed.net/n36_05ayathamo.htm

المبحث الرابع: التواصل والثقافة والمعرفة الثقافية

يتناول هذا المطلب العلاقة بين التواصل والثقافة ومفهوم المعرفة الثقافية. إن المعاني لايمكن أن تفهم أو توجد بمعزل عن فعل التواصل، فهي تأتي من خلال السياق الثقافي، إذا ماذا نقصد بمفاهيم التواصل والثقافة والمعرفة الثقافية؟

إن مفهوم التواصل كما أدرجناه سابقا هو عبارة عن ممارسة إنتاج المعاني، وهو أيظا الأساليب التي تناقش وتدرس أنظمة المعاني من خلال أفراد المجتمع.

وأما المعرفة الثقافية فيمكن تعريفها على أنها معرفة أنظمة وقواعد المعاني والقدرة على مناقشة هذه الأنظمة داخل السياقات الثقافية.

لذلك فإن من الصعوبة بمكان أن نصف ونحلل ماذا يحدث في أي سياق تواصلي أو نمارسه بدون استخدام مفهوم المعرفة الثقافية .

إن فكرة التواصل كممارسة ثقافية تتطلب أشكالا متعددة من المعرفة الثقافية، لأن الممارسة أو مايقوم به الناس هي أمور مقيدة بالنظم والأعراف الثقافية للمجتمع.

ومن ثم فإن المعرفة الثقافية (cultural literacy) قد تفهم على أساس أنها الشعور الذي يدفع لمناقشة هذه النظم والقواعد الثقافية من خلال الثقافة. إذا فالممارسة في هذه الحالة هي أداء المعرفة الثقافية. وإن ممارسة التواصل قد تكون الجزء الإضافي للخرائط الثقافية، ويقصد بالخرائط الثقافية مجموعة القواعد والأعراف الثقافية في المجتمع.

فهناك علاقة وطيدة بين التواصل والثقافة كما أن هنالك تكاملا بينهما، فالثقافة سوف تتوقف إذا لم تعتمد على وسائل الإتصال وتستفيد من تطورها وتقدمها فهي تتطور وتتقدم مثل الكائن الحي[1].

[1] عدنان يوسف العتوم وقاسم محمد كوفحي وشوقي محمد ميرزا،مرجع سبق ذكره،ص42-44.

المبحث الخامس: أنواع الثقافات

1 -الثقافة العليا أو الراقية :وتشير إلى العمل الدؤوب الذي تقدمه الموهبة العظيمة والعبقرية إذ يحاول نشر أقصى درجات الفن الذي صنعته الهوة الثقافية وهي ثقافة النخبة والموهبة الخلاقة وأصول النقد والفكر والأدب والفنون ونمتا بمراعاتها للتقاليد الجمالية.

2 -الثقافة الجماهيرية :وتشير إلى السلع الثقافية المنتجة فقط من أجل السوق الجماهيري وهي سلع متماثلة متشابهة تميل إلى إرضاء أذواق الجمهور المتنوع وفقا هذه الثقافة تجذب وليست أصيلة تمامًا.

3 -الثقافة الشعبية الفن الشعبي :وهو الموهبة الطبيعية للشخص العادي الذي ينتمي إلى الطبقة الشعبية الأغاني، والرقص الشعبي والرسوم البدائية وقد استمدت الثقافة الجماهيرية مضمونها من الثقافة الشعبية وكانت هي الأولى قبل انتشار وسائل الاتصال، وكانت تختلف عنها تمامًا. فالثقافة الشعبية حتى قيام الثورة الصناعية كانت موجهة للجماهير العادية كما أحدثت فنونهم الشعبية ثورة فصلتهم عن الثقافة الرفيعة وأما الثقافة الجماهيرية فكانت مفروضة من رجال الأعمال أو لوردات الثقافة الجماهيرية واستغلوها لإشباع حاجيات الجماهير الثقافية وتحقيق مكاسب تساعدهم على الاحتفاظ بنفوذهم الطبقي ولكن حطمت الثقافة الجماهيرية فيما بعد الجدار بين الثقافة العليا والثقافة الشعبية، حيث أدمجت قطاعات الشعب المختلفة وقدمت لهم كمًا يقول البعض ثقافة رفيعة هابطة وعليه فإن مادة الثقافة الجماهيرية استمدت مضمونها من نوعين هما: الفن الراقي والفن الشعبي[1].

[1] منتدى قسم علوم الإعلام والإتصال, بسكرة, بتاريخ : 06-02-2012 الساعة : 01:59
http://www.sokra7.com/vb/showthread.php?t=31475,PM

الفصل الرابع: اللباس كنسق رمزي واتصالي

المبحث الأول: ماهية اللباس

تعتبر الملابس من المكونات الثقافية لأي جماعة أو فئة أو شعب من الشعوب، وتكتسب الملابس الوطنية في أي مكان في العالم، هذه الصفة لارتباطها بوطن معين وتصبح جزءاً مهماً وسمة أساسية, بل وعنواناً مميزا لهذا الشعب أو ذلك، ومن الطبيعي أن يعتز كل فرد بملابسه الوطنية، ففيها ارتباط وعمق تاريخي وتراثي، بالأصالة، والحضارة والعادات، والتقاليد، فهذا الزي أو ذاك جزء لا يتجزأ من الشخصية، مهما طرأ عليه من تغيير، وتطوير وتقاليع، ومسايرة لآخر خطوط الموضة والأزياء أو حتى بتغير المواد والخامات المستعملة فيه، فهناك دائما ثوابت لا تتغير بتغير الزمان أو المكان[1].

ومن المعلوم أن المسكن والمأكل والملبس من الأركان الثلاثة التي تنبني عليها الحياة الإنسانية، أي إنها من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها في حياتنا، وبدونها تكون الحياة شاقة وعسيرة، ومن المستحيل أن يعيشها البشر. وتعد الأزياء المظهر المادي للجانب الثقافي لدى الشعوب؛ لأنها تعبر عن مكانة الأمم ، ورقي حضارتها، وتعبر كذلك عن التطور الذي حققته في الميدان الفني والاجتماعي والاقتصادي. أي إن الأزياء أو الملبوسات وثيقة صادقة عن العمران والحضارة، ومدى الاهتمام بالفنون الجميلة. وفي الحقيقة" تعتبر دراسة تاريخ الأزياء مصدرا وثائقيا يعكس مظاهر الحياة لأي بلد من البلدان، وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها عنصرا من عناصر الحضارة الإنسانية، حيث تدل على مدى رقي الأمة وعلى مستوى الدولة الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والفني، كما أنها تعطي الباحثين الأبعاد الثقافية والحضارية. ولذلك، تظهر الحاجة إلى دراسة تلك الأزياء بكل مالها من خصائص ومسميات، وتحليل محتواها الفني من نسيج ولون وزخرفة وتطريز ومكملات للزينة والحلى. "

وترتكز فلسفة الزي على ثلاثة جوانب أساسية:

-1الحاجة: لقد اتخذ الإنسان الزي لضرورة وقائية، أي لحماية جسمه من الأخطار الطبيعية: الفزيائية والكيميائية. وكان هذا الزي يستوجبه تغيير المناخ: حرارة ورطوبة. ويعني هذا أن الزي يحافظ على الوجود الإنساني من كل ما يمكن أن تفاجئه به البيئة التي يعيش فيها هذا الإنسان.

-2الاجتماعية: ويعني هذا أن الزي يعبر عن شخصية كل إنسان داخل المجتمع، وبذلك يأخذ وظيفة اجتماعية. أي إن اللباس قد يعرف بالأفراد من الناحية الاجتماعية: يحدد الوظائف التي يمارسونها، ونوع الطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها....

[1] موسوعة اللباس التقليدى الجزائرى،http://montada.echoroukonline.com/

-3الديكور: يتخذ الملبوس كذلك وظيفة جمالية تعبر عن أناقة الشخص وجماله وأبهته، والاهتمام بالذات. أي إن الزي ذو وظيفة ديكورية جمالية تساهم في إثراء الفن والحضارة في ميدان الفنون الجميلة. وللزي تاريخ طويل يمتد من الفراعنة مرورا باليونان والرومان إلى تاريخ الحضارة الإسلامية وأوربا الحديثة.

ويمكن أن نحدد عبر هذا التاريخ الطويل مع بداية ظهور الإنسان ثلاثة ثوابت أساسية في فلسفة الملبوس:
-1العري(مرحلة الإنسان البدائي)؛
-2البساطة(أشكال بسيطة في استعمال الزي)؛
-3البذخ(التحلي بفلسفة الترف والبذخ والتجميل والتأنق الفني والحضاري)
ويمكن أن نبرز كذلك أن الإنسان مر بمراحل بارزة في تطوير حياته، والحفاظ على جسمه وذاته وجماله، منها:
* عري البدن.
* الاتقاء بالزي النباتي.
*الاتقاء بالزي الحيواني.
*مرحلة النسيج(الكتان والصوف).
* مرحلة الزي المزخرف.
وهناك مرحلتان أساسيتان في تطور الزي النسيجي:
* مرحلة الأشكال البسيطة
* مرحلة الأشكال الزخرفية المعقدة[1].

ويعني كل هذا أن " الإنسان الأول نجد أنه لم يكن له من وسائل الكساء شيء، وكان يهيم في أول الأمر بين الأدغال عاري البدن شأنه شأن الحيوان، على أن قسوة الطبيعة دفعته إلى التفكير في صنع ما يقيه من البرد القارس أو الحر اللافح. وكان أول ما استتر به الإنسان هو ورق الشجر. ثم ، تدرج بعد ذلك إلى استعمال الحشائش والأغصان والليف، وصنع منها نسيجا ملائما، ثم اتخذ من جلد الحيوان وفرائه مآزر قبل أن يهتدي إلى طريقة عمل الخيوط من الكتان أو الصوف أو غيره. ثم، صنع من تلك الخيوط نسيجا بسيطا- بدائيا في أول الأمر، ثم حور فيه، وتولاه بالزخرفة لكي يتخذ مظهرا يشعر من يلبسه بشيء من الفخر".
وعند تحليل الأزياء لابد من التركيز على عناصر أساسية في الملبوس مثل:
-1الشعر وغطاء الرأس.
-2ألبسة العنق.
-3ألبسة الجسد.
-4ألبسة الفخذ والرجلين.
-5الأحزمة أو الزنار.
-6ألبسة القدم.
-7المجوهرات والحلي.
-8الألوان.
-9الأشكال.
-10اللوحات والصور.

[1] جميل حمداوي, سيميائيـــة الأزياء الأمازيغيـــة,(تجربة الفنان عبد السلام بوكلاطة نموذجا), 09سبتمبر 2010, /http://www.doroob.com

-11الأماكن المخصصة لحفظ الأزياء.

وإذا كان العالم الثالث، ومنه العالم العربي، يميل إلى البساطة في الأزياء لأسباب دينية ومناخية ومادية وثقافية، فإن الغرب سار خطوات مذهلة في مجال الأزياء، إذ مال إلى الزخرفة والتغيير، وتعقيد الملبوس، والدليل على ذلك تلك العروض التي تنعقد من فينة وأخرى في لندن وباريس وميلانو ونيويورك لعرض أحدث الموضات والتصاميم الزخرفية الجديدة ، وذلك حسب الفصول والفلسفات السائدة في المجتمع.

لكن على الرغم من هذه الأسباب، فلقد عرف العالم العربي تطورا كبيرا في الإقبال على الأزياء ذات الزخارف الجميلة والمعقدة التي تستوحي الفن الراقين وذلك مع تحسن الظروف الاجتماعية والاقتصادية ، و لاسيما في دول الخليج والشام والمغرب العربي، علاوة على سياسة انفتاح هذه الدول على الغرب، و استلهام الأزياء الشرقية ، ولاسيما الصينية والهندية واليابانية والباكستانية والتركية منها.

وفي هذه الدراسة سنقوم بدراسة الأزياء لدى الفنان المغربي عبد السلام بوكلاطة قصد معرفة البنية الجمالية والدلالات التي تنبني عليها ملبوساته وأثوابه[1].

شكلت طريقة اللباس في كل وقت وزمان انعكاسا للمجتمعات ورمزا لتطورها الزماني. واللباس يزودنا في ذاته، وأشكاله ومكوناته بمعلومات حول عادات وتقاليد الشعوب ويتطور بإستمرار ليتبع الإنسان عبر التاريخ.

[1] جميل حمداوي, سيميائيـة الأزياء الأمازيغيـة, مرجع سبق ذكره

مفهوم اللباس

اللباس أو المَلْبَس clothing مصطلح شامل يعني الكساء garment والثوب dress والزي costume، وكل ما يرتديه الناس، ويتبعه من غطاء رأس وحذاء وتسريحات ومجوهرات وأدوات تجميل وغيرها، وهو مظهر من مظاهر ثقافات الشعوب وحضاراتها.

تأثر تطور اللباس وتنوعه على مر العصور بالعوامل الجغرافية كالمناخ وتوافر المواد الضرورية له، وبالحوادث المختلفة كالحروب والثورات والتبادلات التجارية والحركات الدينية وغيرها، كما تأثر بالتطور التقني كطرائق **الغزل** والنسج و**الحياكة** والخياطة. وثمة وظائف أخرى تفرض نفسها على اللباس وتنوعه، أهمها الوقاية من عوامل الطبيعة والمكانة الاجتماعية والتزام الدُرْجة (الموضة أو الطراز السائد لمجموعة معينة من الناس في زمن معين) والزينة. وتحتل المكانة الاجتماعية والدُّرجة المكانة الرائدة في طراز لباس الناس وتعقيده وتذوقه الفني. وإن تتبع تاريخ اللباس لدى الشعوب المتحضرة– بما في ذلك التبدلات الطارئة على الدُّرجة– يقود إلى معرفة جميع هذه المؤثرات.[1]

[1] الموسوعة العربية،المجلد السادس عشر،اللباس،
http://arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=1646&m=1

المبحث الثاني : المؤثرات الجغرافية والتاريخية والتقنية لصناعة اللباس

يعد ارتداء الملابس مسألة بديهية لجميع الناس في أقطار الأرض كلها؛ بغض النظر عن المكان والمناخ اللذين يعيشون فيهما. ويعزى ذلك إلى أسباب عدة أهمها ستر العورة ووقاية الجسم من عوامل مختلفة، والتواصل والزينة.

فالفطرة السليمة تفرض على المرء ستر أجزاء من الجسم لا يصح لغيره النظر إليها، وهذا ما تأمر به الشرائع والأعراف كلها؛ وما تحدّث به القرآن الكريم منذ بدء الخليقة، إذ يرد في قصة آدم u قوله تعالى:]فأَكَلا مِنها فَبَدَتْ لَهُما سَوءاتُهُما وطَفِقَا يَخْصِفانِ عَلَيهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ وعَصى آدمُ رَبَّهُ فَغَوَى[(طه121) وقوله:]يا بَني آدمَ قَد أَنْزَلْنا عَلَيْكُم لِباساً يُوارِي سَوءاتِكم وريشاً ولِباسُ التَّقوى ذلكَ خيرٌ[(الأعراف 26). أما وقاية الجسم من الحر والقر وعوامل الطقس وتقلباته فمسألة استنبطها الإنسان بالبداهة والتجربة، وطورها بما ملك من عقل وقدرات وفق الشروط المناخية التي يعيش فيها. كذلك كان اللباس من أهم وسائل التعارف بين البشر، ودليلاً على الهوية والجنس والسن والوضع الاجتماعي والمهنة وحتى العقيدة. وتؤدي الزينة دوراً كبيراً في إبراز النواحي الجمالية في المظهر، وتمنح المرء نوعاً من الثقة بالنفس والتمايز عن الآخرين بالمكانة والثروة، والظهور بالمظهر الأنيق[1].

ترجع أصول الألبسة المنسوجة المغضنة والمثناة والملتفة إلى الحضارات الزراعية المتاخمة لأحواض الأنهار الدافئة، كبلاد الرافدين ونهر النيل والسند والغانج وغيرها؛ تلك الحضارات التي عرف سكانها زراعة النباتات الليفية ونسجها، ووجدوا الراحة في ارتداء الملابس المستطيلة الفضفاضة التي تحيط بالجسم (كالإتْب والإزار والجلباب والساري) أكثر من لبس الأدم وجلود الحيوانات. أما الملابس المخيطة فهي من ابتداع الرعاة ومربي الماشية في السهوب والغابات الباردة، حيث استعمل هؤلاء إبراً من العظم وخيوطاً من معي الحيوان لتكييف الجلد على هيئة الجسم. ومع تمازج الشعوب وانتقال الحضارات تطور اللباس، وكادت مادّته وأساليب تصنيعه وأدواتها تتشابه في معظم أنحاء المعمورة.

ومن أهم الإنجازات التقنية التي أثّرت في تطور اللباس في العالم اختراع النول البدائي الضيق لنسج قماش يمكن ارتداؤه ثوباً كالإتب (وهو ثوب يشقّ في وسطه تلقيه المرأة في عنقها من غير كمَّين ولا جيب). ثم صار بالإمكان إضافة قطعتي الكمَّين لإتاحة حرية الحركة. وقد يترك أسفل الكم مفتوحاً أو يخاط؛ ليلبس الذراع، وهذا ما أدّى إلى تنوع فتحة الكم وتطويرها. ولزيادة عرض الثوب أضيف شريط مستقيم بين حاشيتي الثوب، ثم كُيّف؛ ليناسب شكل الجسم.

---

[1] الموسوعة العربية،المجلد السادس عشر،اللباس،
http://arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=1646&m=1

ومن الإنجازات التقنية المهمة أيضاً استعمال الصنارة الواحدة أو الصنارتين في الحياكة، وكذلك إدخال قالب حياكة الجوارب في القرن السادس عشر؛ لتحل محل الجوارب المخيطة أو المشغولة بالصنارة، ومن ثم اختراع مكنة **الحياكة** الدوارة ومكنة الخياطة في القرن التاسع عشر؛ التي استعملت أول الأمر لتحضير ملابس الجنود على نطاق واسع، ثم وفرت فيما بعد إمكانات تقليد الملابس المخيطة يدوياً وباهظة الكلفة وإنتاجها بكميات اقتصادية.

تأثر تطور اللباس كذلك بالمواد المتوافرة لصنعه ومناطق إنتاجه. فالأقمشة الأولى كانت من **الصوف** أو الكتان، وكلاهما قابل للغسل. و **الصوف** مختلف الألوان في الطبيعة، ويقبل **الصباغ** بسهولة. أما الكتان فيُلبس في المناطق الدافئة لبرودته، غير أن صباغه أصعب، لذا كان يترك غالباً بلونه الطبيعي، أو يُقصر [ر: القصارة]. أما الحرير فنسيجه جيد الامتصاص للصباغ، وتصنع منه أفخر الثياب. وكذلك القطن الذي تحتل أليافه المكانة الأولى في صناعة النسيج والألبسة. ونسيج القطن رطب قابل للغسيل وسهل **الصباغ** ويمكن تشكيله بتصاميم مختلفة.

شهد القرن العشرون اختراع **الخيوط** الصنعية المنوعة غير القابلة للانكماش أو التغضن؛ والمقاومة للعثّ والبقع والأرخص تكلفة. وجاء إنتاجها متوائماً مع متطلبات **الحرب** وسوق الأقمشة بعدها، لتنوعها ورخص ثمنها. وما تزال الصناعة والتقانة تنتجان مواد جديدة وأساليب تصنيع مبتكرة من مواد مصنَّعة غير منسوجة بطريقة البثق أو الضغط أو اللصق، كالملابس الورقية المستهلكة والڤينيل vinyl للمماطر والأحذية المانعة للماء [ر: القماش غير المنسوج]. وهناك بعض المواد غير المنسوجة القابلة للقولبة بجيوبها وفتحاتها وسحّاباتها (زمّاماتها). كما يمكن لحم بعض الملابس ولصقها بالحرارة، وكذلك الجمع بين المواد الطبيعية والصنعية بتركيبات مختلفة من أجل الدفء وخفة الوزن، وهذا التطور قد يضع نهاية للقماش المنسوج والخياطة والأزرار.

ولبعض الحقائق التاريخية كالحروب أثرها في تطور اللباس، وكذلك التعامل مع الأجانب، والتأثير المتبادل بين الشعوب كما حدث في العالم الإسلامي. إضافة إلى مزاج العصر وانتشار الدُرجة. وكانت الحروب دائماً مناسبة لتبدلات تقنية جوهرية في مجالات مختلفة، منها صناعة الملابس بالجملة على النحو الذي شهده القرن التاسع عشر، كما يمكن أن تكون سبباً من أسباب تبدل الطراز أو الدُرجة (الموضة) كتقصير مئزر النساء (التنورة) إلى الركبة، ولبسهن السراويل (البنطال) في الحربين الأولى والثانية..[1]

[1] الموسوعة العربية،المجلد السادس عشر، مرجع سبق ذكره

المبحث الثالث : أهمية الملابس و الحلي في حياتنا النفسية و الاجتماعية

تترك الملابس و الحلي تاثيرا كبيرا على أحكامنا و مشاعرنا ، و يظهر هذا التأثير في حياتنا النفسية و الاجتماعية ، فهي تعبر بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن ذواتنا الظاهرية ، و ما نحب أن نكون و نظهر عليه ، كما أنها طرق و جسور للتعبير ، و التآلف مع الآخرين من خلال مشاركتهم انشطتهم و ميولهم و اتجاهاتهم . أقرب مثال على ذلك مشاركة المسيح أخوانهم المسلمين في طقوسهم ، و عاداتهم الدينية و الاجتماعية . و بذلك تشكل ملابسنا و حلينا طاقة حيوية و نفاذة تدخل المجال النفسي للآخرين و تؤثر فيهم . و يمكن أن نوجز أهمية الملابس و الحلي ، من خلال ما يلي:

- انها ستر للجسم ، و الذات.
- انها وسيلة للحماية من اخطار البيئة ، و مضارها.
- تعبر عن انتماءاتنا القومية ، و العرقية ، و الدينية ، و المهنية ... الخ
- وسيلة للتأثير على توقعات الآخرين ، و مشاعرهم.
- وسيلة لجذب العطف ، و الاهتمام ، و الحب [1].

[1] علي عبد الرحيم صالح،سيكولوجيا الملابس و الحلي (هويتنا الشخصية و الاجتماعية)،مؤسسة الحوارالمتمدن-العدد: 3181 - 10 / 11 / 2010 - 20:14، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=234800

المبحث الرابع: البعد الإتصالي للباس

يرجع صنع الملابس و ارتدائها الى قدم الآنسان نفسه ، إذ تشير الدراسات و الابحاث التاريخية و الانثربولوجية الى أن سكان الكهوف . الأنسان القديم . كانوا يصنعون الملابس ، و يغطون أجسادهم باشياء بسيطة مصنوعة من الاشجار و فراء الحيوانات ، ليستروا بها عوراتهم ، و أن تقيهم من تقلبات الاحوال الجوية و الظروف البيئية . أما الحلي فصنعها الأنسان من اجل اغراض طقوسه الدينية . و لكن ما أود الاشارة اليه ، أن الله سبحانه و تعالى ، خلق ادم و حواء و معهما ما يستر عوراتهما . و الدلالة على ذلك أن أكل أدم و حواء (عليهما السلام) التفاحة المحرمة . اسقط عنهما ما وري عنهما ، و بعد أن شاهدا ذلك أخذ يقصفان من اوراق اشجار الجنة ليستران بهما عوراتهما . و بذلك تشكل هذه الاشارة الواضحة في القرآن الكريم ، نزعة الانسان في ستر عورته . و لو راجعنا الدراسات الانثربولوجية فانها ستؤكد ذلك ، و حتى الآن و نحن في الالفية الثالثة ، ما زالت توجد قبائل بدائية ، يعدها الانثربولوجيون نماذج لقبائل الانسان القديم : بأن هؤلاء ما زالوا يعيشون حياة بدائية اصيلة ، و انهم يسترون اجسادهم بأشياء صنعت من الاشجار و اجساد الحيوانات ، حيث أن المأكل و المأوى و سبل البقاء لديهم أهم ما في الحياة ، مقارنة بمجتمعات متمدنة تعلق على الملابس و الحلي أهمية كبيرة ، حتى اصبحت من أهم المجالات الحياتية و المهنية ، التي ينجذب اليها الملايين من الناس.

الملابس و الحلي في المعيار الاجتماعي . الثقافي

يوجد في كل مجتمع عادات و تقاليد و معايير خاصة ، تحدد فيه ما هو صائب و خاطئ تجاه سلوك أفرادها . و بذلك تحدد أفعالهم اليومية و تقومها . بيد ان الخروج على هذه المعايير يتدرج من عدم المرغوبية الى نبذ و سخط ذلك المجتمع . و من ضمن ما يخضع لهذه المعايير ، هو ملبس الفرد و حليه . فلكل جماعة ملابس محببه ، و مرغوبة ، و أن ارتداء ما يخالف ذلك يثير استهجان ابناء هذه الجماعة . على سبيل المثال : أن لبس المرأة العربية للباس البحر في مجتمعات الخليج العربي و الدول العربية الأخرى يثير السخط و قد يصل الى حد قتلها ، في حين أن لبس هذا الثوب على شواطئ الدول الاوربية و الامريكية يعتبر امر جذاب و محبوب . كذلك الحال بالنسبة للحلي و الوان الملابس ، على سبيل المثال : ان لون ثوب الزفاف الابيض يعتبر امر جميل ،و محبوب ، و تقليدي في هذه المناسبة . بيد ان مجتمعات اخرى تفضل اللون الاسود في مناسبات الزفاف كما في الهند[1]. !

[1] علي عبد الرحيم صالح، مرجع سبق ذكره

فملابسنا و حلينا تعرف للآخرين، من نحن ؟ ، و من نكون ؟ ، و ما هي قيمنا ، و عاداتنا ، و لغتنا ، و ديننا . و لأي جماعة ننتمي . إذ تشكل ملابسنا قيمة تعريفية و دلالية تتحدث عنا دون أن ننطق بكلمة واحدة . فعلى سبيل المثال : لو أنك حضرت حفلة ما ، و رأيت شخص يرتدي ملابس رجل الكابوي ستعرف على أنه امريكي أو غربي ، و اذا رايت شخص يرتدي عقال و يشماخ و دشداشة ، ستعرف أنه عربي . و أذا رايت شخص يرتدي سروال عريض ، و يلف وسطه بقطعة قماش ، و يرتدي عمامة ، ستعرف أنه هندي . و اذا رايت شخص يلبس الكيمونو ستعرف أنه اسيوي ياباني ، و اذا رايت شخص يرتدي عمامة و عباءة ستعرف انه رجل دين مسلم ، و أذا رايت رجل يرتدي صليب ، ستعرف أنه مسيحي ... وهكذا نَعرف دون أن نسأل من أي بلد او دين او عرق نحن . و بذلك فملابسنا هي بطاقة تحملها اجسادنا أين ما ذهبنا . حتى ملابسنا الشخصية ، فكل شخص تعرف هويته بملابسه المفضلة ، فأحمد يحب أن يرتدي دائما الدشداشة و العقال ، في حين أن حسن يحب أرتداء بنطال الجينز بصورة دائمة ، و قد يثير لدينا الاستغراب ، أذا راينا كل الشخصين يرتدون ملابس بعضهما **!!!** و هذا راجع الى الصورة النمطية المعروفة عنا . و قد يطرح سؤال ، لماذا نشاهد بعض الافراد يفضلون ارتداء ملابس الاخرين دون جماعتهم ، فمثلا العربي أو الهندي أو الافريقي يفضل ارتداء الجينز دون العقال و الدشداشة ، و جوابنا ان ذلك يرجع الى الجماعة التي يرغب الفرد أن ينتمي اليها ، ويجد نفسه و ميوله فيها ، كما أن ذلك يرجع الى قوة الجماعة و جاذبيتها و امتيازاتها و اشباعها لحاجات الافراد . و على العموم فأن هوية الملابس تثير في الآخرين افكار و مشاعر عديدة بين أبناء الجماعات ، إذ تثير الملابس احيانا الحب و الاعجاب أو الكراهية و الرفض و العداء ، مثال ذلك الرموز الدينية الاسلامية و اليهودية ، أو المسيح الكاثوليك و البروتستانت. أو ما تحمله ملابس الرياضيين من ماركات رياضية عالمية لنادي الريال مدريد و برشلونة ، حتى لو لم يكونوا اسبانيين **!!** [1].

[1] علي عبد الرحيم صالح،سيكولوجيا الملابس و الحلي (هويتنا الشخصية و الاجتماعية)، مرجع سبق ذكره

المبحث الخامس: اللباس والثقافة الشعبية

مع أن اللباس وجد أصلاً لوقاية الجسم، فقد كان للزي دوره في جميع الحضارات لتحسين مظهر من يرتديه وللدلالة على مكانته بين الناس، بما في ذلك المرتبة والوظيفة والعمر والجنس والموطن والوضع الاجتماعي وحتى الدين. وتثبت ذلك الرسوم والأنصاب والتماثيل الأثرية المنتشرة في مناطق مختلفة من العالم منذ أكثر من 4000 سنة، وهي تدلّ دلالة قاطعة على مكانة صاحبها ووظيفته في المجتمع، والمثال على ذلك تمثال أورنينا [ر]، وموجودات قبور الفراعنة ومنحوتات المعابد في الهند وملابس نبلاء شعب المايا في أمريكا الوسطى.

ومهما يكن نوع المناخ السائد؛ فإن الشخصيات البارزة في كلّ شعب ترتدي عادة لباساً مميزاً بفخامته وجماله وقيمته المادية مما لايستطيع العامة الحصول عليه، بغضّ النظر عن فوائده العملية. وكانت قيمة اللباس تعتمد في غالب الأحيان على ندرته ونوعيته، أو على مقدار ما يستهلكه من المواد، أو مهارة صنّاعه وتفننهم وجهدهم. ومن الأمثلة على نوعية هذه الملابس الفاخرة تلك المربعات المطرزة في رداء كان مخصصاً لكبار موظفي الإدارة الامبراطورية في الصين، وقبعة الريش التي كان يرتديها محاربو الأزتك في أمريكا، و«الكُلوتة» المزركشة لأمراء المماليك، والصدرة المزينة ب **الجواهر** لنبلاء عصر النهضة في أوربا، والفراء الثمين و **الألماس** لنجوم السينما في القرن العشرين. ولقد كان للمجوهرات والأحجار الكريمة ميزات إضافية دائماً من حيث كونها استثماراً وادخاراً في المجتمعات غير المستقرة اقتصادياً كتيجان الملوك في العصور الماضية، وعقود الذهب والأساور التي ترتديها نساء الريف.

وغالباً ما يرتدي عِلية القوم من أجل المظهر ألبسة أكثر من الشخص العادي أو المتوسط الحال، وألوانها وترتيباتها ملفتة للنظر، سواء كانت مريحة للابسها أم لا، كالأحذية الضيقة والقفازات والصدرة والمشد والتنورة التحتية (petticoat) jupon، كتلك التي كانت ترتديها النساء الإنكليزيات في القرن التاسع عشر. ومن أكثر الأمثلة وأقدمها على نوعية اللباس الفائض عن الحاجة الأكمام الخارجية الفضفاضة والطويلة جداً التي يرجع أصلها إلى أردية بلاد فارس القديمة، وانتقلت إلى أوربا عن طريق الحروب الصليبية. واستمرت طرازاً في بلاط ملوكها إلى القرن السادس عشر، وما تزال تلتزم في بعض الأزياء إلى اليوم.[1]

[1] علي عبد الرحيم صالح، مرجع سبق ذكره

كذلك قد تبحث الشخصيات البارزة وأصحاب الوجاهة والمال عن الجمال وإبراز المكانة بتبني صرعات قد تغدو آخر مستجدات الأزياء. وهذا السلوك غير شائع عموماً في المجتمعات الريفية غير الغربية التي تعيش حياة رتيبة غير متكلفة. إذ نجد أن الأميرة الهندية الثرية والفلاحة الفقيرة كلتاهما ترتديان الساري المعروف تمشياً مع التقليد منذ قرون. أما الغرب بمراكزه المدنية الكثيرة، ومواصلاته السهلة، ومستويات معيشته المرتفعة نسبياً؛ فقد اعتاد على تبدلات الدُّرجة ومبتكرات الأزياء التي عفت رموزها، وخرجت عن المألوف. وغدت مراكز تسوق الأزياء في لندن وباريس ونيويورك وروما مقصد الطبقات الثرية من أكثر المجتمعات. ويقوم التلفاز ومجلات الأزياء والسينما والمسرح اليوم بدور بارز في نشر آخر الصرعات. ويلفت النظر أن متوسطي الحال والأقل شأناً من العلية يحاولون دائماً تقليد من هم أعلى شأناً، وينتج من ذلك فقدان الزي المميز لتلك الطبقة مكانته وميزاته؛ ليغدو مبتذلاً؛ فتهجره لتبحث عن غيره. ومن أقدم الأمثلة على ذلك الشريط الأرجواني على الرداء الروماني المعروف باسم «التُنك» tunic (وهو القُباء عند العرب).

فقد كان في الأصل رمزاً للمواطنة، ولكن حمله شاع بدءاً من القرن الأول للميلاد، وفقد مغزاه حتى ارتداه الخدم وبسطاء الناس. وما يزال الزي اليومي الذي كانت ترتديه النبيلات والنبلاء في أواخر القرون الوسطى حياً إلى اليوم بعد أن تحول إلى الرداء الأكاديمي الجامعي، والرداء الكنسي في بعض التقاليد المسيحية. كذلك تحولت السترة الخطافية (الفراك tailcoat) الخاصة بالنبلاء في القرنين السادس عشر والسابع عشر إلى زي رسمي لأعضاء الفرق «الأوركسترالية» ورؤساء السقاة في المطاعم والنوادي الفخمة.

وعلى خلاف ذلك يمكن للزي أن يرتقي في المستوى الاجتماعي من طبقة أدنى إلى أعلى. فالتخريم في الأصل كان من لباس الفلاحين في فرنسا أول الأمر، وكانت الراهبات يتعلّمن فنّ تخريم الياقات في الأديرة قبل أن تتبناه حاشية الملك لويس الرابع عشر. وإبّان الثورة الفرنسية كان البحارة والمزارعون الوحيدين الذين يرتدون السراويل الضيقة (البنطال)، ولما لبسها نبيل إنكليزي متعاطف مع الثورة؛ كانت السبب في نبذه من المجتمع وطرده من الجامعة. وقد يعاب الرجل اليوم في بعض المناسبات، أو يُرفض حضوره من دون ربطة عنق، كما تعاب المرأة بنوعية لباسها.[1]

[1] علي عبد الرحيم، مرجع سبق ذكره

إن كل نشاط نقوم به عادة يعبر عن شخصيتنا و هويتنا الاجتماعية ، إذ أن أفكارنا ، و معتقداتنا ، و أنشطتنا الاجتماعية ، و مآكلنا ، و ملبسنا هو دلالة على كياننا الشخصي و الاجتماعي ، فما نحبه أو نكرهه ، و ما نفضله و ننفر منه .

هي أشارات و توقعات صريحة و واضحة نستطيع من خلالها التعرف و التنبؤ بتصرفات شخصية الفرد ، و أن نتعامل مع هذه الشخصية مستقبلا بناءا على هذه التوقعات و التنبؤات.

لذا يشكل ملبسنا و ما نرتديه من حلي ، رموز اتصالية نستطيع من خلالها فهم الفرد و التعامل معه ، على سبيل المثال : لو شاهدنا رجل يلبس زي عسكري ، فأننا سنعرف فورا أنه ينتمي لرجال الجيش ، و سنتعامل معه بناءا على ذلك . كذلك الطبيب ذو الستارة البضاء ، و رجل المرور ذو الملابس البيضاء والزرقاء .

هذه التوقعات النفسية و الاجتماعية تظهر على شكل سلوك ، أو افكار ، أو انفعالات .فاذا رأيت شخصا بملابس فاخرة و أنيقة و يرتدي ساعة و حلة ثمينة ، ستحكم عليه بانه رجل اعمال ، أو غني ، هذا التوقع يثير لديك مشاعر الخشية و الاحترام و التقدير . بيد أنك لو شاهدت رجلا يلبس ثياب قديمة ، و بالية ، و مرقعه ستحكم عليه بانه فقير ، و معدوم الحال ، و سيثير لديك مشاعر التعاطف و الرحمة و المساعدة ، أو التجنب و الاشمئزاز منه[1] !!!

[1] علي عبد الرحيم صالح،سيكولوجيا الملابس و الحلي (هويتنا الشخصية و الاجتماعية)،مرجع سبق ذكره

المبحث الاول: التعريف بالمنطقة مجتمع الدراسة

تقع مدينة الجلفة بالأطلس الصحراوي على بعد 300 كلم جنوب الجزائر العاصمة وهي نقطة التقاء في منتصف الطريق بين الحدود الشرقية والغربية للبلاد.

الجلفة عاصمة سهوب الجزائر، تمثل بصدق التركيب المتكامل لمناطق الجزائر المختلفة، حيث مناخها القاري المتميز بارتفاعها عن سطح البحر بـ 1270 م يجعل منها مكانا مفضلا لدى سكان الصحراء وكثيرا من السواح، و كذا الرياضيين.

تشتهر هاته المنطقة بتربية المواشي والغنم على وجه الخصوص (ذي الجودة العالية)، كما أنها مركز تجاري هام والصناعة الحديثة ظهرت جليا فيها بسرعة فائقة، و كذا باحتوائها لقطب جامعي فتي.

و يشتهر أهل منطقة الجلفة بالكرم و النية، (و ما تسمية موقع مبايعة أهل المنطقة للأمير عبد القادر الجزائري بالكرمونية لدليل على ذلك)

العصورالقديمة

كانت منطقة الجلفة قبل عشرات الملايين من السنوات عائمة تحت الماء، بدليل اكتشاف مجموعة من الصدفات المتحجرة، التي هي محفوظة و معروضة بالمتحف المحلي للمدينة.

ويرجع تاريخ وجود الإنسان بالمنطقة إلى عصر ما قبل التاريخ فقد تم العثور– منذ بداية القرن العشرين– على نقوش و رسومات صخرية و كتابات ليبية بربرية يعود أقدم تاريخ لهذه الآثار إلى حوالي 9000 سنة قبل الميلاد.

هذه الرسومات و النقوشات تتوزع على محطات عدة في الجلفة من أهمها:

محطة عين الناقة : التي تبعد بحوالي 45 كلما جنوب الجلفة و تزخر برسومات أثرية عديدة لمجموعة حيوانات ، مثل الحيرمين العتيقين (Les deux Buffles antiques) الضخمين (أكبر هذين الرسمين مساحته 219 سم) ، ويوجد بالمحطة أيضا رسم لفيل كبير ، ورسم لامرأة و رجل يدعيان: العاشقين الخجولين. ويوجد بالمنطقة أبعد تاريخ للحضارة القفصية، يحدد بـ: 7350 سنة ق.م.

محطة حجر سيدي بوبكر: اكتشفت سنة 1965 من قبل فرانسوا دو فيلاري. وهذه المحطة قريبة من مسعد، و تحمل عدة نقوشات صخرية من جهاتها المختلفة .. مثل الكبش الذي تعلوه شبه كرة فوق رأسه (Le bélér à spheroide)، وعلى يمينه نعجة لا تظهر فوق رأسها شبه الكرة Brébis sans spheroide.[1]

[1] أرشيف ولاية الجلفة

محطة حصباية: اكتشفت هذه المحطة في عملية عسكرية للفرنسيين أثناء الاحتلال، و أعيد اكتشافها سنة 1964 من قبل دوفيلاري وبلانشار. تبعد بحوالي 75 كلما عن مدينة الجلفة جنوبا، حيث نجد نقوشا صخرية لفيلة و أبقار و نعامات و أرانب ورسما لإنسان.

وهنا تظهر ملامح العصر النيوليتي (العصر الحجري الحديث) الذي بدأ في الشرق الأوسط منذ 7000 سنة قبل الميلاد، مما دل على وجود الإنسان في المنطقة خلال هذا العصر.

محطة خنق الهلال: اكتشفها سنة 1966 براتفيال ودوفيلاري. محطة قريبة من عين الإبل، فيها رسم لثور (حيرم) عتيق، وكبش تعلوه شبه كرة. ويوجد رسم لأسد كبير لا يظهر ذيله، ويتجه بوجهه إلى اليمين..

محطة عمورة : تقع بمنطقة مسعد ، وقد اكتشفت سنة 1965. وفيها رسم لفيلين

محطة ثنية المزاب: تبعد بحوالي 45 كلما جنوب الجلفة. يعود تاريخ رسومها إلى 6000 سنة قبل الميلاد. نجد في صخورها الصفراء رسومات غامضة صعبة الفهم، ورسما لفيل ضخم و آخر صغير، ولشخص يظهر شعره بهيئة غريبة.

محطة زكار: اكتشفت هذه المحطة سنة 1907 من قبل السيد : ماقني القاضي في الجلفة أنذاك . فيها رسوم جميلة و دقيقة لظبي إفريقي يجثو على ركبتيه، بينما يلتهمه أسد، مع أن الأسد يبدو أقل شكلا .. وفيها رسوم لنعامة ولوحيد القرن..

محطة صفية بورنان: اكتشفت سنة 1954 من قبل بيلان . تقع بين مسعد و المجبارة. وفيها رسومات لفيل وكبش و نعامات و غزال ، وكذا مجموعة من الخيول ... الخ

ويرى هونري لوت أن المحطة تعود إلى حوالي 5020 أو 5270 سنة قبل الميلاد.

أصل كلمة الجلفة:

هناك عدة روايات حول أصل تسمية مدينة الجلفة بهذا الإسم منها:

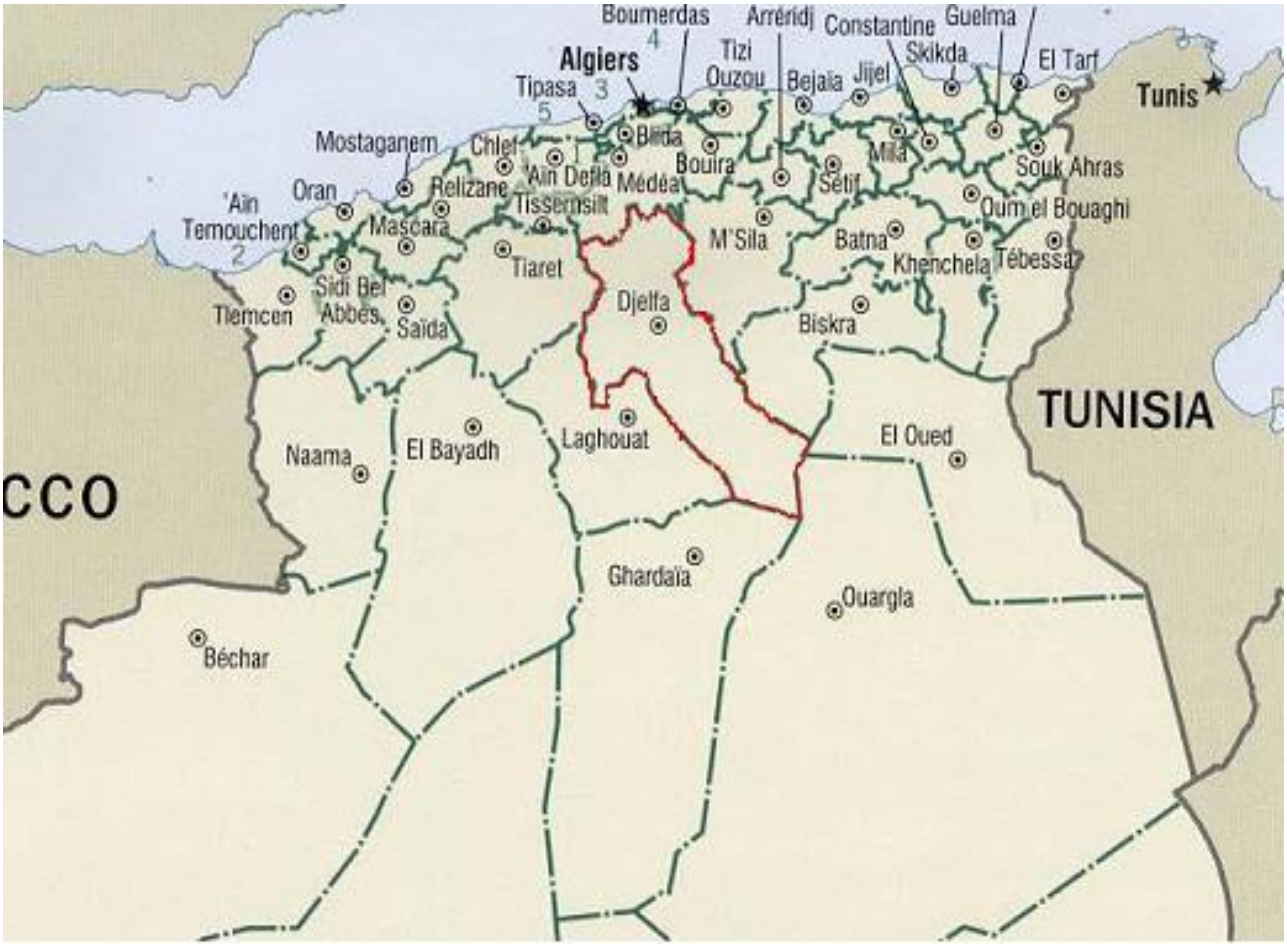
يقال بأن سكان المنطقة كانوا يقيمون في الماضي سوقا يضمهم لتبادل السلع، ومكانهم يقع قرب واد بفيض أحيانا، فإذا جف برز على التربة قشور تسمى (جلوف) ومفردها جلفة فأصبحوا يطلقون على هذا المكان أو الناحية اسم (الجلفة) ومنه أخذت المدينة هذا الاسم .

- هناك تفسيرآخر للتسمية اذ نظرا لقساوة المنطقة مناخيا وتضاريسيا أطلقت عليها كلمة جلفة وتعني بالعربية القساوة والشدة(وهي الأرجح)

التقسيم الإداري -

- قُسمت ولاية الجلفة بمقتضى التقسيم الإداري عام 1974 للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية تضم : 12 دائرة و 36 بلدية.[1]

[1] منقول من موقع أخبار الجلفة



خارطة توضح موقع الولاية

.

ولاية الجلفة	
	
الإدارة	
عاصمة الولاية	الجلفة
رمز الولاية	17
ولاية منذ	1974
الوالي	جلاوي عبدالقادر[1]
الموقع الرسمي	Wilayadjelfa.dz
بعض الأرقام	
مساحة	66415كم²(6)
تعداد السكان	985275نسمة(9)
إحصاء سنة	2010م[2]
كثافة	14.83نسمة/كم²
الترقيم الهاتفي	027
الرمز البريدي	17000
التقسيم الإداري	
الدوائر	12
البلديات	36

http://ar.wikipedia.org/wiki/ولاية الجلفة

التقسيمات الجغرافية بالولاية

تقع الجلفة في سفح الأطلس الصحراوي وبمفترق الطرق من الشمال إلى الجنوب، بين أحضان السهوب الوسطى عند التحام الصحراء بالهضاب العليا .وشساعة المساحة أعطت المنطقة تنوعا طبيعيا، إذ نجد مثلا أنواعا تضاريسية متعددة على امتداد مساحتها الشاسعة فهناك سلسلة جبلية في وسط الولاية تمتد من دائرة دار الشيوخ شرقا إلى الإدريسية في أقصى الغرب، حيث تتخلل هذه السلسلة قمم جبلية فارغة، تبلغ مداها الأقصى في قمة جبل "محاسن الكفا" بالقرب من منطقة بن يعقوب المرتفعة بـ 1613 مترا، وينخفض هذا الارتفاع كلما توجهنا غربا دون أن ننسى جبل بوكحيل الذي يأخذ مساحة في الشمال الشرقي لدائرة مسعد، ويمتد حتى بوسعادة، وكذا جبل الملح بالمكان المسمى "حجر الملح"،وهو ثالث جبل ملح في العالم ويقع على بعد حوالي 30 كلم شمال مدينة الجلفة.

توجد بالمنطقة أيضا منخفضات ببلدية الجلفة، وبلدية دار الشيوخ وأحواض بالإدريسية وبالقرب من مسعد، وسهول بعين الإبل ومسعد.

يمر وادي جدي بالجزء الغربي للجلفة، والغطاء النباتي هو الأشجار التي تغطي 150 هكتار وتقع هذه المناطق الغابية بالجنوب الغربي والشمال الشرقي لبلدية الجلفة وشرق مسعد، وبالقرب من عين وسارة . وتغلب عليها أنواع :الصنوبر الحلبي، وأشجار العرعار بالإضافة إلى أنواع نباتية استبسية، مثل الحلفاء التي تغطي مساحة تقدر بـ: 658000 هكتار. والشيح، والإكليل. كما أتاحت الطبيعة الصحراوية جنوب المنطقة وجود الواحات والحمادات في منطقة مسعد.

- أنواع التضاريس:

1-منطقة الهضاب العليا :تغطي منطقة الهضاب العليا مناطق عين وسارة، حاسي بحبح والمنطقة السهبية لمسعد .الأولى

التي تواجهنا هي منخفض واسع والمسمى هضبة عين وسارة والمتواجدة في شمال الولاية وهي تمتد على مساحة تقدر ب 500.000 هكتار ويصل علوها ما بين 650 و 800 م. هذه الهضبة تلي مباشرة سلسلة جبال الأطلس التلي في الشمال وتأتي قبل منخفظ شطوط الزهرز الغربي والزهرز الشرقي التي تتواجد بوسطها تلال ذات مواصفات موحدة : فهضبة عين وسارة تتدرج في ثلاث نواحي منفصلة، تلال كثيرة الانجراف، وادي الطويل في الغرب، هضبة البيرين في الشرق وأخيرا هضبة عين وسارة بالوسط.

2-منطقة الشطوط :السلسلة الثانية للتضاريس باتجاه الجنوب والتي تلي منطقة الهضاب العليا هي منطقة منخفضات شطوط الزهرز الغربي والزهرز الشرقي التي تتواجد في الناحية الشمالية للأطلس الصحراوي .تكون هذه الشطوط حوضا كبيرا مغلقا محدودا بالهضاب بخط رؤوس الجبال التي تسمى [1]

[1] أرشيف الولاية

الانكسار الأطلسي وهي تمتد من منطقة كاف البخور بحاسي بحبح بعلو 920 م بالغرب إلى غاية جبل زنزاش بحد الصحاري بعلو 1411 م بالشرق، وهذا الحوض ينقسم إلى منخفضين صغيرين التي من ناحيتها السفلى محتلة بسبخات، بالنسبة للزهرز الغربي فهو على علو 820 م، بالنسبة للزهرز الشرقي فهو على علو 750 م

-**3المنطقة الجبلية** :فهي منطقة متجهة شمال-غرب/ جنوب-شرق على مسافة 400 كلم طولا و 15 كلم عرضا وتتكون من عدة وحدات مرفولوجية) جبال بأشكال مثنية) ومن أهمها جبل الصحاري بعلو يصل إلى 1544 م.

-**4منطقة الضايات** :تتمثل منطقة الضايات في عدة أحواض تحتفظ على مستواها ببعض من النسبة من الرطوبة تساعدها على بقاء النباتات. تتواجد هذه الأحواض أو الضايات في الناحية الجنوبية من الولاية بدائرة مسعد .وهذه المجموعة من التضاريس تتكون من الهضبة الصحراوية الواسعة في المنخفض المتكون من وادي جدي في جهتها الشمالية التي تكون الحدود الطبيعية للصحراء .حيث تتوفر ولاية الجلفة على أهم ثروة غابية في الأطلس الصحراوي.

-**5غابة سن الباء** :تمتد غابة سن الباء على مساحة 19.800 هكتار نحو الغرب. تمتد على سفح جبل سنالبة الطي يعتبر من أهم جبال أولاد نايل بالأطلس الصحراوي .تمثل الأعالي الأكثر علوا باتجاه جنوب -غرب نحو الشمال الشرقي بعلو يصل إلى 1489 م بجبل حواص والمستوى الأدنى يصل إلى 1220 م وأقصى انحدار يصل إلى 300م.

إن هذه الغابة تلعب دورا من أهم الأدوار من الناحية البيئية والحفاظ على التوازن الطبيعي ومهمتها الأولى هي الدفاع عن المناطق صد التصحر من ناحية وضعيتها بالأطلس الصحراوي وهي آخر جدار ضد امتداد التصحر الذي يهدد من سنة إلى أخرى المناطق الخصبة بالشمال. كما تلعب دورا اقتصاديا في إنتاج الخشب التي يصل إنتاجها إلى 9000 م3.

المناخ

مناخ منطقة الجلفة انتقالي في عمومه، بين مناخ البحر الأبيض المتوسط والمناخ الصحراوي.

إذ يتميز بقساوة الطقس في فصل الشتاء وكثرة موجات الصقيع المنتظمة، وبقلة الأمطار وعدم انتظامها وامتداد مدة الجفاف وقصر مدة التساقط. ويقدر متوسط قيمة التساقط بين 150 إلى 350 ملم سنويا[1].

خصائص الولاية:

السكان

ينتسب أغلب سكان ولاية الجلفة لسيدي نايل (محمد بن عبدالله) وقد نال شرفا وعلوا بسبب تقاه وطاعته لله تعالى أولا ثم لشيخه سيدي أحمد بن يوسف ثانيا، فطاعته للأولياءوالصالحين وأهل البر والتقوى

[1] أرشيف الولاية

والصلاح والشيوخ هي من طاعة الله ويعود نسبه إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ماورد في كتاب تحفة الأفاضل بترجمة سيدي نايل، وكذا كتاب: تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نايل. يقال أن أصله من المغرب الأقصى وأما ماذكره إبن خلدون في كتابه المقدمة(بصيغة النوايل) فهم العرب الهلاليون الذين سكنوا طرابلس الغرب وليسوا أولاد نائل.

وفاته: يقول صاحب كتاب الأحفاد بمناقب الأجداد في وفاته مايلي:(وقد انتهت رحلته الطويلة المليئة بالأحداث فوصل إلى نواحي منطقة سيدي عيسى، وهنا ضربت الأقدار موعدها ووافته المنية(ضاية اللحم)، ودفن على ضفاف الوادي في المكان المسمى حاليا(حمادة سيدي نايل)

العروش الكبرى لسيدي نايل:

هي أولاد(ونشير إلى أن كلمة أولاد تذكر قبل تسمية كل عرش(وهي مرتبة ترتيبا أبجديا):

أحمد بن يحي(عين الملح)، أخناثة، أم لخوة، أم هاني، أمحمد لمبارك، الرقاد، بوعبدالله، حركات، خالد، رابح، رحمة، زيان، ساسي، سليمان، سي احمد، سي امحمد، طعبة، عامر، عيفة، فرج، لعور، لغويني بن أمحمد، لغويني بن سالم، يحي بن سالم[1]

اشتهر أهل المنطقة بكسبهم للخيول وتدليلها والاعتناء بها وتدريبها على الحرب وكانت أكبر مموِّل لجيش الأمير عبد القادر إبان المقاومة الجزائرية للاستدمار الفرنسي. .

صناعة الجلود والسروج.

. عرفت المنطقة صناعة النسيج منذ العصور القديمة، باستعمال صوف الأغنام والماعز ووبر الإبل، وكانوا ينسجون قطع الخيام[الفليج].وكذا الزرابي، والأفرشة، والملابس كالبرنس الوبري والجلابة [القشابية]والخمري والحايك. . صناعة الحلي. . صناعة الفخار. . من أهم الأكلات المعروفة في المنطقة والتي تشتهر بها الكسكسي، البركوكس، الرفيس، البغرير، الفطير... هذا ومما يعرف عن أهلها أنّهم أهل جود وكرم وسخاء، وأهل شجاعة وغيرة ووفاء، وأهل محبة وإخلاص وحياء

بالرغم من حداثة مدينة الجلفة إلا أنها تملك تراثا زاخرا، يقارب ما تحويه المدن العتيدة في الجزائر، فالزائر للمدينة يقف أمام عدد من الأبنية المحافظة على جوهرها والشاهدة على تاريخ المدينة، كدار البارود، البريد الرئيسي، مسجد بن دنيدينة، السوق بوسط المدينة، المتحف (الكنيسة سابقا)،مسجد سي أحمد بن الشريف، مسجد العتيد بالشارف، جامع الراس بمسعد، جامع سي بلقاسم بلحرش (البرج) أقدم مسجد بالمنطقة الذي يرجع بناءه إلى سنة 1877، ما يعني مرور مئة وثلاثين سنة على تشييده...

هذا وقد أصبحت الجلفة مركزا اقتصاديا وتجاريا هاما، باعتبارها منطقة عبور بين مختلف مناطق الوطن لوجود شبكة هامة من الطرقات حيث يمر عليها الطريق الوطني رقم 01،04،28. بما أهلها لتكون منطقة تجارية جد نشطة، وتوجد بها مجموعة من المنشآت الاقتصادية كالغاز الطبيعي وخطوط نقل الطاقة الكهربائية والسد الأخضر. والنشاط الغالب لسكانها المحليين هو الفلاحة وخاصة تربية الماشية

[1] مصادر شفوية من بعض كبار العروش وكبار السن

(الأغنام) فهي العمود الفقري للنشاط الاقتصادي للمنطقة، بالإضافة إلى المؤهلات والمواقع السياحية (الطبيعية والتاريخية)والحمامات المتواجدة بها.

تتميز الفلاحة في ولاية الجلفة بسيطرة الشكل الرعوي عليها وهي تكون القاعدة الاقتصادية للمنطقة على سبيل المثال فإن الفلاحة بما فيها تربيةالمواشي تشغل 59.335 ساكن تمثل 37,67 % من سكان الولاية. كما تمتع المنطقة بإمكانية تنمية فلاحية كثيفة وحديثة بإنتاج الكلاء لتغذية الماشية وإنتاج زراعة البقول التي كانت لها إنتاجية عالية.

أهم رموز المنطقة : من أهم رموز منطقة الجلفة هي محطات النقوش الصخرية ومن أهمها محطة زكار وعين الناقة التي يتواجد بها نقش العاشقان الخجولان زيادة على رمز الخيمة النايلية المعروفة بها المنطقة وبألوانها الحمراء والسوداء رمز الضيافة والكرم.

الغابات : تتوفر ولاية الجلفة على ثروة غابية من أهم الغابات للهضاب العليا على المستوى الوطني. فهي تقوم بدور الحماية ضد التصحر وهي آخر قلعة للحماية ضد تقدم الصحراء.

المؤهلات والمواقع السياحية :تمثل ولاية الجلفة تنوعا جهويا يتميز بخصوصيات المناخ والتضاريس وبخصوصيات الأرضية. فهي تتميز بعدة مواقع سياحية مختلفة وثروة كبيرة في الميدان السياحي. ويمكن ملاحظة عدة مساحات لثروات طبيعية ومواقع أثرية متميزة في منطقة الجلفة.

المناطق الطبيعية :يوجد في ولاية الجلفة تباعا من الشمال إلى الجنوب، الكثبان الرملية، غابات الأطلس الصحراوي وهضبة ما قبل الصحراء في جنوب البلاد وأهم المواقع الطبيعية هي:

.**1غابة سن الباء** : تتواجد غابة سنالبة على بعد حوالي 5 كلم في الشمال–الشرقي وتمتد على مساحة تقدر ب 19.500 هكتار نحو الغرب. تمتد على سفح جبل سنالبة الذي يعتبر أهم سفح لجبال الأطلس الصحراوي (أولاد نايل .(تمثل الجبال الأكثر علوا، متجهة شرق– غرب نحو الشمال الشرقي بعلو يصل إلى 1489م بجبل حواس والمستوى الأقل علوا يقع على 1220 م وأقصى الانحدار يصل إلى 300 م. تتواجد غابة سنالبة في منطقة شبه جافة بتوجه بارد (صيف حار جدا وجاف، شتاء بارد وقارص) يمكن أن تصل الدرجة الأدنى إلى ناقص 08 درجات والأقصى إلى 35درجة. تتساقط 308 م من الأمطار كمعدل سنوي عموما منتظمة طيلة السنة إنّ وضعيتها الجغرافية ومساحتها وأهميتها العلمية والبيئية وتضاريسها ومناخها الجزئي، تعطي لغابة سنالبة إمكانية إنشاء مجمع طبيعي واسع يمكن ممارسة الرياضة فيه، الراحة والترفيه مع الاحتفاظ بطبيعتها الغابية كما أن المساحة النباتية تمثل مكانا جميلا للظل ومكانا نباتيا هائلا للترفيه والراحة والهواء النقي. وللخصوصيات المذكورة فقد تم تحديد واختيار والإعلان عن منطقة للتوسع السياحي بالمرسوم رقم 232/88 المؤرخ في 1988/11/05 بمساحة 12,5 هكتار كمنطقة مناخية.

.2غابة النخيل بمسعد : تقع غابة النخيل لمسعد بمحاذاة وادي مسعد المتواجدة بالوديان المغلقة بسلسلة الأطلس الصحراوي التي تشكل حاجزا والذي يحتوي على سلسلة من الجبال ذات علو متوسط نوعا ما.[1]

[1] ويكيبديا الموسوعة الحرة

.**3الزهرز الغربي** :يتواجد قرب الطريق الوطني رقم 01 بعلو يصل 820 م، يظهر في شكل طويلة جنوب–غرب/شمال –شرق ويحتل مساحة 340 كلم2. إن شكل هذه الهضبة هو نتيجة لتعامل لثلاث عمليات انجراف وهي : الذوبان الكمياوي، الحفر عن طريق السيلان والعمق بالانجراف والرياح.

.**4الكثبان الرملية** :يتواجد عن بعد عشرة كلم جنوب حاسي بحبح على عرض الطريق الوطني رقم 01 باتجاه جنوب–غرب/شمال –شرق من جهتي الطريق وللوهلة الأولى فإنه يظهر على شكل حقل للكثبان ويمثل من إحدى المعالم والأكثر أهمية التي تسجل بشكل جلي العبور من شكل إلى آخر.

.**5محمية الصيد** :تمتد محمية الصيد على بلديتين : عين معبد ودار الشيوخ فقد أنشئت بالمرسوم رقم 116/83 المؤرخ في 1983/02/05 وتمتد على مساحة :31.886,25 هكتار منها : –13.784,90 هكتار من الغابة الطبيعية 16.000,00 – هكتار

.**6حجر الملح** : يتواجد على بعد 30 كلم من مدينة الجلفة وعلى 15 كلم من الحد الزهرز، يمثل حجر الملح إحدى المعالم الأكثر أهمية في ميدان الجيولوجيا. فهو من الملح الذي يظهر في وسط من المكونات القارية الذي يعلو بحوالي 100 م المجاور يمثل حجر الملح في الميدان السياحي الألوان المتغيرة من الأصفر إلى الأخضر، البنفسجي في بعض المرات إلى الأحمر. فهذا يمثل مجموع متجانس وجميل من أين يخرج عدة عيون التي ألوان شطوطها بيضاء ومن أين يجد الماء مسلكا صعبا في زربية دائمة من الملح

النقل

تتوفر ولاية الجلفة على حافلات النقل العام وكذلك على سيارات الأجرة التي تتواجد بكثرة في الولاية[1].

[1] من ارشيف و لاية الجلفة

الهياكل القاعدية

في الولاية أكثر من 40 ثانوية، ومئات المدارس الابتدائية والمتوسطة.ومنذ سنة 1990 بها جامعة تتسع لأكثر من22000 تسمى جامعة زيان عاشور نسبة إلى شهيد بالمنطقة وقائدا ثوريا إبان الثورة التحريرية.. طالب جامعي ،تزخر الولاية كذلك بقطب علمي يتمثل في مركز لجامعة التكوين المتواصل**ج ت م UFC** الذي يضمن تكوينا للمنتسبين إليه والذين لم يسعفهم الحظ في البكالوريا وقد تخرج منه حوالي 7000 طالب على مدار 10 سنوات من افتتاحه.كما يتواجد بكل دوائر الولاية مراكز للتكوين المهني مسعد، وملحقات للتعليم والتكوين عن بعد وملحقات لمحو الأمية وتعليم الكبار. حيث انخفضت نسبة الأمية من 56.22 إلى حدود 30 بالمائة في العشر سنوات الماضية.

الثقافة

من أهم فنانين ولاية الجلفة شيخ شريك محمد, شيخ حميدة لسبط , شيخ ديديا , عبد القادر نايلي ,كمال نايلي , ديدين , علي سراي و غيرهم من فنانيين

ومن شعراء المنطقة :بن هورة عبد القادر يسكن بدائر حاسي بحبح قد الف عدة اشعار و غنى بها كبار فنانين المنطقة[1]

[1] أرشيف الولاية

المبحث الثاني: الثقافة الشعبية في ولاية الجلفة

الطب التقليدي : اشتهر البعض من قدماء شيوخ المنطقة، وعرفوا بمداواتهم الكثير من الأمراض والعلل التي استعصى على الطب الحديث مداواتها، وذلك بطرق عدة منها:

- **العلاج بالكي:** وهو علاج يعتمد على كي المكان المصاب كيا خفيفا، وعرف به:
- الشيخ الزبدة: يعالج الكسور، اللحمة، والباب، وهما مرضان ينتجان عن انزلاقات لحمية.
- القراقفي: وهو أيظا معالج بالكي لنفس الأمراض، وكثيرون في البدو والحضر.
- **العلاج بالتشلاط:** وهو علاج يعتمد على على جروحات خفيفة بموس عادي أو تقليدي، لعلاج مرض الصفير، وعادة مايكون موضعه الرأس، مع وضع أدوية تقليدية أخرى أثناءه.
- **العلاج بالتدليك(المسيد):** وهو علاج يعتمد فيه على دلك المكان المصاب، وعادة مايكون على الرجل وعلى الظهر للحمة، وعلى البطن للسرة.وقد اشتهر بمعالجته(الشيخ بربورة السبخاوي) وفرحات القراقفي وغيرهم كثيرون.
- **العلاج بالحجامة: (الكتابة):**كان سكان المنطقة ومايزالون يعتمدون في معالجة بعض الأمراض على الحجابة(الكتابة)، حيث يتوجهون لأحد الشيوخ المعروفين بطهارتهم للمعالجة، وكثيرا ماكانوا يشفون، والآن بقيت هذه السنة بإظافة الرقية لها، ولها شيوخها أيظا، ومازالتا تستعملان لحد الآن. لمعالجة السحر، العين، الصرع، الوسواس، وكثيرا من العلل والأمراض الأخرى، وقد اشتهر بذلك قديما المرحوم الشيخ الحاج برمان محاد الطاهر، الشيخ بسيسة سي العربي، وغيرهما، وحديثا سي محمد بن حمروش سي الصادق الناجوي، سي عمروغيرهم سي امحمد طاهيري. وفي الرقية: الأرقم وغيره.العلاج بحمامات الرمل للبرد(المل): ويكون صيفا حيث يغطي المريض جسمه كاملا إلا الرأس بالرمل مدة للشمس يوميا لمدة أقصاها 21يوما وأدناها 7أيام متحفظا من الريح، متناولا بعض الأعشاب شرابا.[1]

طريقة الخطبة والزواج عند سكان المنطقة:

إن الطريقة المتبعة لدى سكان المنطقة قديما وحديثا في مراحل الزواج هي:

التصريح: إذا رغب العريس في الزواج، فإنه من الحياء والحشمة أن لايصرح بذلك لوالديه مهمما بلغ من الأمر، وقد يصرح بذلك لصديق أبيه، أو لصديقة أمه أو لأخته الكبرى أو لأخيه.

[1] المبارك بلحاج، صور وخصائل من مجتمع أولاد نايل، بدون سنة،ص29،30

التعرف: بعد أن يعرف الوالدان ويقتن عان، يتم التعرف على المرغوب فيها، بإرسال عجوز أو قريبة، أو ذهاب الأم أو إحدى الأخوات لرؤية الفتاة والتعرف على العائلة دون الإفصاح عن الأمر، وبعد التأكد من كل المعلومات، وجمعها والإقتناع بها تأتي مرحلة أخرى.

الخطبة: وفيها يتم الإفصاح بالأمر، ويتناقش الطرفان في الأمر ويتم الإتفاق على المهر والشروط وكيفية المراسيم، وتحديد الوقت لتقديم قفة الخطبة، وغالبا مايكون محدد من طرف أهل الفتاة، وغالبا مايكون ليلة الإثنين أو الخميس أو الجمعة أو مصادفة موسم ديني(تبركا وتيمنا)، وفيها يحمل أهل العريس قفة تحتوي مصروفا، علامة على التراضي، ثم يحدد وقت آخر لعقد القران ويسمى "العقد"

العقد: وقد يكون العقد هو يوم الزفاف معا، مساعدة للعريس، أولهما معا، ويحدد فيه يوم الزفاف، إن لم يكن يومها لاحقا بمدة كافية لاستعداد العريسين ماديا، ويومها يحمل أهل العريس تكاليف *نن* المهر والزفاف وما سيعد للمدعويين في بيت العروس، وقد يكون مصروفا عبارة عن كبش، وسميد ولواحقه..، وقد يكون مبلغا ماليا، يغطي ذلك كله.

يوم الزفاف:وفيه يتم إعلام أهل الفتاة بوقت كاف لاستعدادهم، ويوم الزفاف يحضر أهل العريس وأقربائه لأخذ العروس والتي يرافقها أهلها طبعا إلا أبيها وأب العريس وليلة الزفاف تذبح الذبائح ويدعى للعشاء الضيوف ويقدم لهم الكسكس باللحم في قصعات عشرات عشرات وبعد الانتهاء يتناولون الشاي ثم ينصرفون، وقد يجمعون للعريس مايسمى التبوريك.[1]

الأكلات التقليدية: من أشهر الأكلات التقليدية في ولاية الجلفة:

الكسكسي: ويعتبر الطبق **الرئيسي في ولاية الجلفة** وعادة ما يزين الموائد خلال الأعياد والمناسبات العائلية، يحضر بمرق يتكون أساسا من اللحم والخضر.

المشوي: يحضر بلحم الخروف الذي يشوى على الجمر ويدهن بالزبدة، يرفق هذا الطبق بالبصل النيئ والخبز التقليدي ويسمى محليا "المصور" أيظا هناك الملفوف هي الكبدة تلف في شحم الخروف الكعبوش وهو يعجن بالدقيق والتمر والرفيس

الألعاب الشعبية: الطبيعة البدوية لولاية الجلفة وتراثها الأصيل جعل سكانها يبتكرون ألعابا تقليدية تتمثل في السيق، الكورة والتلومة، الغميضة، لقريتة وغيرها من الألعاب والتي مثلت وسيلة الترفيه الوحيدة لدى أبناء المنطقة

الفروسية: تكتسب ولاية الجلفة عادات عريقة في الفروسية إذ يربي فرسانها الخيل العربي الأصيل والبربري، تشكل ألعاب الفنتازيا والبارود لوحات تراثية مفعمة بالجمال أثناء الإحتفالات الرسمية والشعبية، عادة مايجهز الخيل بالسرج واللجام والمطرزان بتقنية عالية كما يرتدي الفارس البرنوس، الصباط المكردي، القندورة والسروال العروبي.

[1] لمبارك بلحاج، المرجع السابق الذكر، ص31،32

الغناء النايلي: يتغنى الفنانون النايليون بمواويل متنوعة تبنى على نصوص شعرية وليدة المنطقة لعاداتها وتقاليدها العريقة عادة مايكون مضمونها قوي النظم ومعبر الكلمات كما نجد أسماء لماعة في هذا الفن ويتناول مواضيع عديدة منها: الغزل، المدح، الفخر، ويتطرق أيظا إلى مواضيع وطنية، فكاهية، إجتماعية...إلخ

الرقص النايلي: يتميز الرقص النايلي بحركاته وصوره الكوريغرافية العميقة والجميلة في آن واحد، على وقع الدفئ والغايطة يستمتع المتفرجون بألواح تعبيرية من صنع الفرد أو الجماعة، يتحلى الراقصون بثياب تقليدية تزيد من روعة العروض ومن أشهر الرقصات النايلية: رقصة الدارة، رقصة السعداوي، رقصة الحمامة والقمري ورقصة الفرسان.

بالإظافة إلى الغناء والرقص النايلي تشتهر المنطقة بأنواع فلكلورية أخرى مثل الغناء البدوي الصحراوي والتقصاد.

الشعر الملحون: ينتشر في ولاية الجلفة عند البدو الرحل بوجه الخصوص حيث تلهمهم الطبيعة والترحال من بحورها لنظم كلمات وقوافي تسحر سامعها بقوتها ومعانيها الصادقة، ويتخذ الشعر الملحون مواضيع شتى من الحياة اليومية ويتطرق لأحداث ومناسبات معينة، كمت لاتخلو الجلفة من فحول في القصبة والشعر الفصيح الذين نالوا جوائز عالمية.[1]

أدوات الزينة: عادة ماتتزين المرأة النايلية بمستحضرات أساسها مواد طبيعية محضة، وتحرص النايليات على الظهور في أبهو حلة فبالإظافة إلى إرتداء الزي النايلي تتبرج بالكحل والحرقوس، السواك والحنة التي لاتفارق يديها ورجليها، ترتدي السخاب المعطر بالقرنفل والروائح لأنه يمنحها عطرا طبيعيا لايفارق مجلسها.

المسرح: تعرف الحركة المسرحية رواجا بولاية الجلفة حيث يقبل الأطفال والشباب على الفن الرابع بعدما وجدوا به قالبا يحوي طاقاتهم الفنية والإبداعية.

الفنون التشكيلية : هو من أجمل الفنون المعاصرة التي تشتهر بها الجلفة تعتمد على الإلهام والخيال الإبداعي الواسع للفنانين التشكيليين لتترجم أناملهم لوحات رائعة الجمال ، لتجد كل متأمل لها تائه بين ألوانها وأبعادها تارة ومعجم بإنسجامها تارة أخرى.

[1] من مطبوعة الجلفة أصالة وتواصل

الحرف الفنية: يتفنن حرفيو الجلفة في إبداع منتجات فنية تنم عن الروح الإبداعية الفياضة لتتجلى عبر:

النيسج: تشتهر المنطقة بمختلف منتجات النسيج أهمها:

- **زربية خد النايلية، زربية عمورة والحنبل.**
- **القشابية والبرنوس**
- **الخيمة الحمراء**

صناعة الألبسة التقليدية: تعتبر حرفة رائجة بين الصناع لأنها تعبر عن هوية المنطقة وأعرافها، من أبرز منتجاتها: البرنوس الوبري، القشابية، الخمري، الألبسة النايلية، القندورة، الشد والحولي،روبة نايلية والسروال العربي.

صناعة الحلي: تعد الفضة المادة الأولية في صناعة الحلي بمنطقة الجلفة إذ يعمل الحرفيون في ورشات بإستعمال أدوات تقليدية على تحويل الفضة إلى جواهر ذات قيمة جمالية عالية تضفي على مرتديها لمسة من الرونق المتميز، من أهم أنواع الحلي نجد: المقواس، الخلخال، الدراقة، الناصية، الخواتم، الأقراط والسخاب المعطر بالطيب والروائح الزكية.

الصناعة الجلدية : وفرة الجلود بأنواعها حفزت سكان المنطقة على امتهان الصناعة الجلدية، فبعد معالجة الجلد بطرق تقليدية تصنع منه الأحذية المعروفة بالسباط المكردي ذو اللون البني والأحمر والحقائب ، المحافظ التقليدية والقربة التي تعد ضرورية لحفظ الماء عند البدو وحتى السكان الحضر.

صناعة الحلفاء: الجلفة هي عاصمة الحلفاء لكونها منطقة سهبية ينمو بها هذا النبات على نطاق واسع، وهذا ماجعل حرفييها يستعملونها في صناعتهم للأطباق، المظلات، القفف والحصائر، يعتمد في هذه الحرفة على ظفر الألياف بإتقان وجودة عاليتين.[1]

الأعياد المحلية: تحيي ولاية الجلفة مجموعة من الأعياد المحلية ذات طابع ثقافي وتراثي عريق عريق. يبرز من خلال الألوان الفلكلورية للمنطقة، الفنتازيا وعاداتها وتقاليد أصيلة: من أشهر هذه التظاهرات نجد: عيد الكبش ووعدات أولياء الله الصالحين.

المبحث الثالث:أنماط الإتصال والتواصل التقليدي في ولاية الجلفة

طريقة الكلام: رغم دخول مصطلحات كثيرة وجديدة، وتطور وسائل التثقيف، وتعدد المصادر، وغزو الوسائل التثقيفية للبيوت، فإن جل سكان المنطقة مازالو يتخاطبون ويستعملون لغة الأجداد والآباء ومن الكلمات العتيقة التي لازالت ميتعملة كقولهم:

ياحصراه: تحصرا،

(مهله)أ ولى: بمعنى هل؟

[1] منشورات الجلفة أصالة وتواصل

ويكته: بمعنى متى؟ ، يااللحنان: يقال للعزيز، نقداو: بمعنى نذهب.

الحركات: إلى اليوم مازال الكثير من الفئات والأعمار يستعملون أثناء التكلم مع الغير، الإشارة بيده أو برأسه أو بعصاه أحيانا، لشرح شئ ما، أو تبسيطه أو التدليل عليه، أو التفاعل معك في دولر يمثله كأن يحكي لك حكاية مشوقة فيها عنف فيدفعك بيده لاشعوريا، لكتفك بيده طبعا متفاعلا أو موضحا، أو منبها لك جالبا انتباهك له أو لشخص ما، أو لشئ ما أو محذرا منه، ومازال الكثير منهم إذا سألته عن مكان أو شئ يعرفه يشير إليه بيده أو برأسه، أو برسم خطوط توضيحية بيانية بعصاه أو برجليه، إذا كان واقفا دالا لك على المكان أو الشخص المبحوث عنه.

الكرم والجود: إكرام الضيف والزائر والاعتناء به، ولم لم يكن ذو قربى يعد واجبا بل فرضا يغاقب تاركه معاقبة أدبية فقد توارثه هذا المجتمع أبا عن جد فكلمة أشرب قهوة..تسمعها من كل لسان، ولو كان صغير السن.

الهمة والعزة والنيف: لاتكاد تجد بين بني نائل من يقبل بدوس كرامته أو إهانته أو قبوله بالتعسف والحقرة له أو لأهله أو ذويه، كما أنك تجده قد لايملك شيئا ولايمد يده ولا يحط من كرامته، ويتظاهر بعلو الهمة وبعزة النفس رافعا أنفه شامخا

صدق الحديث والمعاملة: من العادات والتقاليد المعروفة في الجلفة الصدق في الحديث والإخلاص في المعاملة والأمانة فلاتكاد تجد إلا نادرا كاذبا أو مرابيا أو خادعا ..ولذلك فإن أغلب الناس يعيشون بمعاملة الثقة بينهم بيعا وشراءا وفي كل المعاملات.[1]

المحافظة على الجار والجوار: مما عرف على أهل المنطقة المحافظة على الجار والإحسان إليه، وتفقده ومواساته وخاصة إذا كان غريبا إذ يجد نفسه من أبناء المنطقة وربما من أول يوم يحل بها إن لم يكن في حينها.

الحياء والحشمة : وهو سلوك مشترك بين النساء والرجال، كباقي السلوكات الأخرى حيث لايقابل الصغير الكبير برفض أو معارضة أو كلام.. خاصة إذا كان قريبه، وإلى الآن لايحمل الابن أو البنت أولادهما أمام والديهما(وخاصة أمما الأب)،

التسامح: تعد سمة التسامح والصفح والعفو كانت ومازالت منتشرة، سائد بكثرة، ويوميا تقريبا وكثيرا من القضايا والمشاكل والنزاعات تعالج بسهولة، وبتدخل كبار العروش، وأهل التقى والخير ويقع الرضى والقبول والتسامح بين أطراف النزاعوتسود المحبة والمودة والتآخي وتدفن الأحقاد.

المساعدة أو التويزة: وكانت قديما تقام على شكل بناء بيت لفقير بالمشاركة الفعلية عملا والمادية ، أو لمن يصاب بكارثة أو لمسجد ...وقد تميزت بها بعض العائلات عن غيرها بدرجات متفاوتة من عرش لآخرومن عائلة لأخرى.

[1] لمبارك بلحاج، المرجع السابق الذكر، ص 26،27

الزيارات والولائم: مازالت العائلات تلتقي على الأقل أسبوعيا في المناسبات والولائم والأفراح وتتبادل الزيارات لما لشمل العائلة ومحافظة على التماسك الأسري وغرسا للمحبة والألفة .

التكافل الإجتماعي: لازالت بعض العائلات متمسكة بروح التماسك والتكافل الإجتماعي ولذا ترى المتسولين والمترددين على المدينة من المتشردين كثيرين وهم يمكثون لمدة طويلة نظرا لوجود الجو الملائم وقد كان هذا الجو قديما بل ولازال رمزا لمنطقة اولاد سيدي نايل .[1]

ومن أجل التعرف على أشكال اللباس ومختلف التسميات وأيظا أنثروبولوجيا اللباس أجرينا عديد المقابلات نعرضها كاملة للتعمق أكثر في الموضوع وكانت أول مقابلة مع السيدة زهية بن عبدالله ومن خلال المحادثة التي كان فحواها موضوع أنثروبولوجيا اللباس استخلصنا مايلي:

- الأنثروبولوجيا في حد ذاتها هي دراسة كل الممارسات اليومية الإجتماعية للإنسان يعني أن الأنثروبولوجيا هي عبارة عن شكل آخر من التأريخ للحياة اليومية للإنسان لكن لها منهجيتها الخاصة التي تختلف عن باقي العلوم ، فالأنثروبولوجيا في حد ذاتها عندها منهجية خاصة ممكن تكون انثروبولوجيا تاريخية أو انثروبولوجيا معاصرة او انثروبولوجيا الحداثة أوحتى مابعد الحداثة .

-مفهوم اللباس هو عبارة عن ممارسات ويطلق عليها الممارسات اللباسية فالإنسان نظرا لمنظومة قيمية معينة والتي تنبع من وسطه المعاش من معتقداته الدينية ، الإجتماعية، ومن ثقافته اليومية وبذلك إما أنه سوف يقتدي بسلفه أو أنه يكتسب ثقافات أخرى خارجية عن مجتمعه وبيئته ويرتديها ، فمفهوم اللباس مرتبط أولا بمفهوم التمثلات، مفهوم الممارسات أيظا مفهوم تمثلات الجسد لأنني مثلا أنا أرتدي كذا أو أبي أو جدي يلبس كذا ... فماهي قناعاتي في الحياة وماهي مثلي الجمالية وماهو قصدي أو هدفي... فالعلماء اليوم يتحدثون عن استراتيجيات اللباس لأنه قديما كنا نقتدي بالسلف دون أن نسأل لكن اليوم هناك العولمة، الموضة...إلخ فوسائل التأثير هذه جعلت الإنسان يكتسب ثقافات مغايرة عن ثقافته الأصلية بغض النظر عن بعض العناصر التي لاتزال تحافظ على تقاليدها فعند الجماعات الأقلية أو الإثنيات المعروفة بالهوية الخاصة بها كالتوارق أو الطوارق نجده من العيب أن يغير لباسه وبقي يحافظ عليه الرجل الترقي حتى في المواسم نجده يفتخر به إذا هنا اللباس عنده علاقة وطيدة بالأنثروبولوجيا والإثنولوجيا وعلم الإجتماع وعلم الإتصال...

- ماهي الدلالات التي تفهم من خلال اللباس التقليدي:

-اللباس التقليدي عنده حالتين إما يكون لباس يومي يرتدى في سائر الأيام أو قد يكون لباس مناسباتي للتظاهر فإذا كان كذلك فماذا يريد هذا الشخص أن يظهر؟

أيظا هل هذا اللباس مريح أوهو لباس عملي حسب الضروة كالباس الأسود الذي لايرتدى في الحرارة... كما أنه لابد أن نصور المجتمع في حالته الآنية فهل الجميع يرتدي لباس موحد.[2]

[1] لمبارك بلحاج، مرجع سابق الذكر، ص28،29

[2] مقابلة مع السيدة زهية بن عبد الله، أستاذة باحثة بمركز البحوث في عصور ماقبل التاريخ،جامعة الجزائر يوم 29أفريل من 12:55 إلى13:20

ونجد اللباس التقليدي مرتبط أساسا في يومنا هذا بالسن فمثلا نجد الفتيات لايرتدين الزي التقليدي في سائر الأيام وممكن لاترتديها كلية

لكن نجد العرائس وحتى الفتيات يتباهي به في المناسبات وفي ولاية الجلفة مثلا ترتدي العروس الزي النايلي بالعصابة أو الشدة والزمالة والسخاب وهو لباس فيه فطرة وجمال أيظا نجد الألوان لها دلالاتها ففي ذات المنطقة نجدها ترتدي مثلا اللون الأبيض وهو رمز النقاء والصفااء وهو يدل على صفاء العروس[1]

[1] مقابلة مع السيدة زهية بن عبدالله، أستاذة باحثة بمركز البحوث في عصور ماقبل التاريخ "علم الإنسان والتاريخ"،جامعة الجزائر، يوم 29 أفريل من الساعة منتصف النهار و55د إلى 13:20

كيف يكون اللباس وسيلة للإتصال والتواصل؟وكيف يعبر عن الثقافة الشعبية؟

لباسنا نشترك فيه مع شعوب كثيرة كالمغرب وليبيا والجزر العربية فقط فيه اختلاف بسيط فمثلا الجزيرة العربية يضعون العقال والعمامة أما نحن فنضع العمامة فقط.

أيضا القندورة عندهم مفتوحة كلية أما نحن مدورة أو مغلوقة نائلي.

ونحن نتميز بالبرنوس والقشبية التي نرتديها في الشتاء...فهكذا عبر اللباس نجد تواصلا عبر الشعوب في اللباس كاللغة فهو أساسا لغة صامتة.

أيضا لباسنا خاصة البرنوس والقشبية ننتجه فهو من صنع ايدينا أما الجزيرة العربية ودول الخليج لا يصنعونه بل يأتيهم جاهز.

ولباسنا يعبر عن أصالتنا ونحن نتعرف مثلا على الشخص النائلي من لباسه.

أولاد نائل : يتميزون بالقندورة النائلية والعمامة النائلية وعادة تكون دائما بيضاء والصباط النائلي (أو الطعبي) وهذا لباس الرجال الكبار.

أيضا كان هناك الكوستيم النائلي وقد انقرض حاليا. وهم يشتركون مع بعض العروش الأخرى في الجلفة لكنها تختلف نوعا ما في اللون وطريقة اللباس.

فالحذاء نجده عند أولاد نائل فقط وخصوصا مسعد ولا نجده عند باقي العروش وهو يعبر على أن الشخص الذي يرتديه ينتسب لمنطقة مسعد والبرنوس أيضا ينتسب لمدينة مسعد أما القندورة واللحفاية فيشتركان فيها بقية العروش لكن اللون والشكل وأيضا طريقة الخياطة تختلف.

وهكذا من خلال طريقة الخياطة واللون يمكن أن ينسب الشخص الذي يرتديها إلى منطقة معينة من مناطق ولاية الجلفة.

الأنثروبولوجيا واللباس : اللباس جزء من الأنثروبولوجيا إن الأنثروبولوجيا علم يصور ويحدد عادات وتقاليد الشعوب سواء في اللباس، طريقة الكلام...طريقة الجلوس، التعامل،العادات والتقاليد.

أيضا هي تهتم بتسمية اللباس لدى الشعوب ففي نفس الشعب مثلا نجد العمامة عند البعض ومن نفس المنطقة تسمى عند آخرين الشاش أو اللحفاية. أيضا طرق ومراحل صنعة اللباس إذا كان تقليديا كالبرنوس والقشابية مثلا[1].

[1] مقابلة مع السيد المبارك بلحاج، شاعر شعبي ومدير مدرسة إبتدائية (دائرة مسعد ولاية الجلفة) يوم 2015/05/10 من الساعة 12:00 إلى الساعة 12:35

من العادات و التقاليد و القيم المتأصلة لكل مجتمع هي مجموعة من القيم و العادات و التقاليد المتوارثة عبر الاجيال او ذات البعد الانتروبولوجي و من بين هذه العادات نجد عادة اللباس ومن خلال المقابلة التي أجريناها مع السيد بناولة محمد وكانت الإجابة كمايلي:

– تعتبر قبيلة ولاد نايل من القبائل الاصيلة في المجتمع الجزائري المتميزة بطريقة عيشها و عاداتها ، وان لباس ولاد نايل له مايميزه عن باقي الالبسة الجزائرية الاخرى من حيث الشكل و بعدة الانتروبولوجي من حيث الاصالة و مواكبة التغيرات او المستحدثات ،فاولاد نايل لهم لباسهم الخاص على غرارالبرنوس و القشابية و الكاشبوسير و العمامة ،الخمري،الحايك ، البثرور ...

–هذه الالبسة لها بعد انتروبولوجي و لها تاثراتها و مزاياها خاصة في العملية الاتصالية سواء داخل نظام القبيلة او فيما يخص العملية الاتصالية الخارجية او ما يسمى شبكة العلاقات خارج القبيلة –مع القبائل الاخرى –فاذا اعطينا صورة عن شكل اللباس و بعده االانثروبولوجي من حيث المحافضة على الشكل الحقيقي للباس النايلي هذا في حد ذاته امتداد للعملية الاتصالية بين السالف و الحاضر او الاصل و الفرع فنجد ان اللباس الحالي بشكله الاصيل يعبر تعبيرا واضحا عن قوة الاتصال داخل القبيلة و تمسكها بالباس الاصيل ، كما ان تمسك النايلي باللباس الاصيل وارتداء اللباس النايلي داخل القبيلة يزيد و يقوي العملية الاتصالية داخل القبيلة من حيث ان المحافظ على هذه القيم يتلقى التقبل الحسن و ارتداء هذا اللباس من قبل الجماعة يعتبر في حد ذاته وسيلة اتصالية بين هذه الجماعات باعتبار الكل يمارس نفس الطقس المستحسن .

–كما انه نجد ان اللباس النايلي له بعدة الاصيل او المتجذر في القبائل العربية الاصيلة فذاك لباس مستوحى من اللباس العربي الاصيل دمما يكون له الاثر في عملية الاتصال بين قبيلة اولاد نايل و القابئل العربية االخرى اذا اخذنا اللباس من منطلق القيمة الاصيلة او العادة الحسنة او من منظور ان اللباس عبارة عن وسيلة اتصال رمزية غير صريحة و هذا ما يعطي البعد الاتصالي الجيد لهذا اللباس من حيث التطور الانتروبولوجي الذي طرء على هده المجتمعات و محافظة هذه القائل على هذه الاشكال من اللباس كقيمة او كميراث لها غير انها لها البعد الاتصالي الواضح و الصريح[1] .

[1] مقابلة مع السيد بناولة محمد، أستاذ بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة المدية، يوم 2015/05/28، على الساعة 15:00

المبحث الرابع: أشكال اللباس التقليدي في ولاية الجلفة

الـــلـبـــاس:

كان الآباء و الأجداد و الأمهات و الجدّات بمنطقة مسعد يتميزون عن غيرهم بملابس توارثوها أبا عن جد و ما زالت مستعملة إلى اليوم و خاصة بالبادية و نجملها فيما يلي مع تسميتها الأصلية العامية و هي:

*للـرجـال:

البـرنـوس الأشـعل : إن البرنوس الأشعل هو رمز العروبة و الأصالة لدى المسعدي خاصة و النائلي عامةً ، و البدوي على الأخص وغالبا ما يكون من الوبر الخالص ، أو من الوبر و الصوف مناصفةً ، أو من الصوف الخالص حسب مقدرة لابسه.

***البـرنـوس الأبـيـض*:**

وهو ملازم للبرنوس الأشعل يُلبس تحته و لا يكاد يُفارقه إلا في حالة الجو المعتدل فقد يلبس وحده لخفته ، و غالبا ما يلازمه ملازمة الظل لصاحبه ، وهو أقل تكلفة منه وأرخص ثمنا ، ويصنع من الصوف فقط لكون لونه أبيضًا خالصًا.

القَشّـابيـة:

وهي اللباس المفضل لدى أغلب سكان المنطقة ، وخاصة الحضر منهم ، وهي شبيهة بالبرنوس إلا أنها مغلقة محيطة بلابسها ، وذات كُمّين طويلين.

و تصنع من الوبر الخالص أومن الصوف و الوبر مناصفة ، أومن الصوف الخالص حسب الحالة المادية لصاحبها و ما يستطيع ، وللإشارة فإن كلاً من البرنوس و القشابية من صنع المرأة المسعدية الحضرية والبدوية ، وهي صنعة متوارثة عبر الأجيال وهي مصدر عيش اغلب سكان المنطقة هي والبرنوس .

البدلة العربية (الكوستيم العربي):

وهي بدلة من نوع قماش واحد و لون واحد ذات ثلاث قطع:

-سروال عربي (مدوّر) ، أو بالحجر يسمى أيضا.

-جيليّه (صدريه) و تسمى البدعية.

-فيسته[1].

الكاشبوسير : وهو معطف طويل يستر صاحبه من الكتفين إلى الكعبين ، وهو من القماش ، ذو جيبين عادة ما يلبسه التجّار (وهذا اللباس ليس نائليا بل مكتسبا).

و هذه الألبسة كلها من خياطة خياطين بارعين و كان من أشهرهم خياط أولاد نايل (رحمه الله) وقد ورثها عنه كثيرون منهم : هواري دحمان بن السلمي ، وغيره.

الڤندوره : وهي العباءة وتصنع من القماش الخالص أو الصوف، وتلبس عادةً صيفاً، وقد تلبس في كل الفصول، وتغطي كامل الجسم، فضفاضة ذات كمين ليسا طويلين وهي لباس أهل المنطقة.

اللحفايه (العمامه):

و هي تاج العرب كما يقولون ، وقد بقيت كذلك عند سكان المنطقة فلا تكاد ترى كهلاً أو شيخاً إلا ويرتدي اللحفاية (العمامة) ، ومن العيب تعرية رأسه و خاصة لدى أهل البادية و بعض العائلات بالحضر ، و هي ملازمة للبدلة المذكورة ، لا تفارقها إطلاقاً.

الحذاء المكردي (الطعبي) : و هو حذاء يصنع من الجلد الخالص (الشرك) يشبه السوقاء (البوتيون) و قفله من النوع نفسه ، وهو غالي الثمن لجودته (صنعاً و مادة).

بوطعبه : وهو على شكل صاندالة اليوم ، ويختلف عن لمكردي صنعا وقيمة (يقل عنه)

البلقه : و هي نوع من الأحذية يشبه الأول صنعا و مادة ، ويقل عنه ثمنا و لا يتجاوز الكعبين ، وبدون قفل (سير).

البست :و هو جوارب من الجلد الخالص ملازم للبلقة و لا يلبس مع غيرها.

الخيط : و هو خيط سميك لونه أسود ، وقد يكون بنياً (أشعلاً) ، يلازم العمامة يلبس فوقها و يُلف حولها ، و عادة ما يستعمله الفرسان والعظماء.

القميص العربي (لقمجه العربي):

[1] لمبارك بلحاج، صور وخصائل من مجتمع أولاد نايل،ص38،39

و هي شبيهة بالقميص الحالي العصري ، إلا أنها أطول بكثير تحاكي القندورة طولاً ، وبدون ثنيتين (كول) و لها كمين طويلين ، وما زالت موجودة لدى البدو خصوصاً.

الـبــسـطــالــه : نوع من الحذاء يستعمل للمشي قريبا ويلبس صيفاً.

العراقـيــه : قبعة توضع تحت العمامة ، تلامس العرق ومنه اشتقّت ، وهي مصنوعة من الصوف أو القماش الغليظ أو القطن[1] .

[1] لمبارك بلحاج، مرجع سابق الذكر، ص39،40

اللـــباس:

***للنســاء:**

فكما أن للرجال لباسهم المميز و المفضل ، فإن للنساء لباسهن المميز و المفضل لديهن و نوجزه فيما يلي قطعة قطعة وهو :

الـخـمـري : وهو برنوس المرأة البدوية بالمنطقة وهو أسود اللون يصنع من الصوف المصبوغ باللون الأسود ، وتلبسه الكهلات و العجائز عادة و القواعد منهن على الأخص.

الـمـلـحـفـه :وهي قطعة من القماش المميز الخاص بهذا النوع ، وغالبا ما يكون أبيضا مزركشا يغطي كامل جسم المرأة من الرقبة إلى القدمين و ترتديه القواعد من النساء (العجائز).

الـحـايـك :و يسمى (القُنْبُزْ) و يرتدى من طرف نساء البدو و الحضر ، وهو قطعة قماش غالبا ما تكون بيضاء ، تغطي كامل الجسم من الرأس إلى الرجلين عدا ثُقب من جهة إحدى عيني المرأة لتنظر منها الطريق فقط.

روبـه عـربـي : و هي موجودة إلى اليوم ، معروفة لدى الخياطين بمجرد ذكرها ، كاملة طويلة ، لا شفافة ولا فضفاضة ، وسط بينهما ، وتسمى أيضا (روبه نايلي).

الـشّـد : و هو قطعة من القماش المعروف ، قماش رقيق شفاف أبيض ، شبيه بقماش اللحفايه للرجال (العمامه) ، ويلبس مضافا للخمري ، حيث يشد به الخمري إلى جهة الرأس هـ، ويُميّل يمينا أو يسارا تبختراً.

الـبـشـرور : وهو حزام مصنوع من الصُّوف أو الحرير غالبا ، أو منهما معاً ، يُدلى من الخصر إلى إحدى الجهتين يمينا أو شمالا ، ذو فلقتين أو أكثر (شقين)، ويأخذ ألوان الطيف .

الـحـلـي وأدوات الزينـة:

***الـحـلـي :**

الـخـلـخـال :وهو قطعة للزينة من الفضة تُوضع في الرِجل للتزين ، يُسمع رنينها أثناء مشي المرأة ، وما زال مستعملاً لحد الآن في البادية خاصة.

اسّـخـاب :وهو حبات من الطيب و العطر المجفف يجعل على شكل عقد دائري ، يُدلى على الصدر ويُعلّق في العنق ، له رائحة فوّاحة قوية مميزة و معروفة[1].

[1] لمبارك بلحاج، مرجع سبق ذكره،ص41،42

الـمـنـديـل : ويشبه المنديل الذي يوضع على الرأس اليوم ، إلا أن لونه يكون أحمر قديما وأكبر منه حجماً ، وذا خيوط متدلية مُزركشة له في طرفيه ، تضعه المرأة المسعدية و خاصة البدويات منهن على رؤوسهن.

الـمـــدور : وهو شكل دائري فضي أو ذهبي مزركش يستعمل مع الحولي على جهة الصدر ، ما سكا طرفيه ، موصلا بينهما ، يستعمل من طرف الكهلات و العجائز و القواعد من النساء ، وما زال مستعملاً.

الـحـــدايـــد : و هو شكل دائري ، يوضع في اليدين ، فضي أيضاً أو ذهبي، وعادة ما يكون العدد زوجياً في كل يد ، وما زال مستعملاً.

الـمـقـواس : و هو شبيه بالحدايد ، ولكنه أغلظ منها وأغلى ، فضي أو ذهبي، ومازال مستعملاً .

المنقاش:وهو شكل غالبا ما يكون دائريافضيا أوذهبيا يوضع على الصدر بمثابة (بروش اليوم).

الـمـحـــزمـه : و هي معروفة كمحزمة اليوم و لكنها فضية أو ذهبية مزركشة ، تضعها المرأة في خصرها فوق الروبة عادة و ما زالت مستعملة وقد تعوضها بالبثرور.

الـخـمـــس : و هي أشكال على شكل أيدي ، توضع على الصدر أو الرقبة وما زالت مستعملة من فضة أو ذهب.

الـضـفـيـرة :وهي خصلات من الشعر مضفورة ، تُدلى إلى أسفل و عادة ما تكون على الجانبين ، مدعّمة بخيوط تطويلاً لها ، وما زالت مستعملة .

***أدوات الـزيـنـة لـدى الـمـرأة:**

الـمـــرايـه : و هي مرآة صغيرة مُغلفة بالجلد الأحمر ، تُعلّق على الصدر.

الـمـشـطه : مشط مستطيل ذو أسنان يحفظ في صندوق المرأة الخاص.

الـســـــواك : وهو عود كريم طيّب ، يمضغ ليزيل رائحة الفم.

الـــعـطـــر :و غالبا ما يكون العنبر أو السخاب يكفيان عنه.

الـدهـــون : وهو ما يدهن به الشعر ، وغالبا ما يكون عطرشه ، أو زيت اكليل .

الـصَّـــــرع : وهو عقد صغير أقل حجماً من السخاب ، مصنوع من حبيبات صغيرة من حجرٍ كريم ، أو معدن ، يُلف حول العنق ملتصقاً به تماماً ، لا رائحة له ، مزركش بالأبيض والأسود يتوسطه[1].

[1] لمبارك بلحاج، المرجع السابق، ص42،43

الـشـرَّركـــَه : وهي عقد أقل حجما من السخاب ، وأكبر حجما من الصّرع ، لا رائحة لها ، حباتها من المعدن ، يُلف حول الرقبة ليسدل على الصدر.

الـمـــرود : وهو عود تكتحل به المرأة.

عرف الطيب : ما تتطيب به المرأة ، وهو على شكل أعواد صغيرة رائحتها زكية ، تطحن لتتخذ طيبا. لُـكْـحُـل : ما تكتحل به المرأة[1] .

[1] لمبارك بلحاج، مرجع سلق ذكره، ص43

المبحث الخامس: دراسة أننثروبولوجية لعينة من الألبسة

وبعد هذا العرض لمختلف الألبسة التقليدية في ولاية الجلفة لابد ومن خلال الإحتكاك بالشيوخ والعجائز وجدنا أن المنطقة تشتهر بالنسيج ولما نتحدث عن السيج نتحدث عن البرنوس

ويعتبر البرنوس والحذاء المسعدي من الألبسة الشهيرة في ولاية الجلفة ولما سألنا عن تاريخها فوجدنامنبعها مدينة مسعد هذا مادفعنا لشد الرحال لهذه المدينة لنتعرف عليها ولنتعرف أكثر على هذا اللباس الأصيل وقبل ذلك لابد أن نعرف ولو قليلا بمدينة مسعد:

مسعد هي مدينة جزائرية تقع جنوب مقر ولاية الجلفة، على بعد 76 كلم. تبعد مسعد عن جنوب مدينة الجزائر بحوالي 375 كلم. عدد سكانها 102453 نسمة (عام 2008). عرفت المدينة منذ العصور الرومانية القديمة، حيث كانت مدينة مزدهرة.

دخلت في التقسيم الإداري لسنة 1974 لتصبح عاصمة لدائرة تربط بين عدة ولايات لها من الأهمية الوطنية مالها كولاية الأغواط وغرداية، وورقلة، وبسكرة، فزادها هذا التمركز بين هذه الولايات إستراتيجية لموقعها

بنيت في القرن الثاني الميلادي 193، بناها القائد الروماني ديميدي، هذه المدينة التي يقطنها ما يفوق التسعون ألفا من أبناء سيدي نائل، الذين استقر بهم المقام في هذه المنطقة.

- **البرنوس والقشابية**

مراحل صنع البرنوس الأشعل (الوبري) والقشابيه (الوبري):

إن البرنوس الأشعل الوبريُّ والقشابيه هما اللِّباس المفضَّل والمعبَّرُ عن أصالة وعراقة المسعدي والنائلي، وهما رمز عزَّته وفحولتِه وهما من صنع المرأة المسعدِّية و النَّائليَّة ، وقد أصبح عربيي وعالميي الانتشار.

وقد أُهْدِيَا إلى العظماء والوجهاء، في مناسبات عديدة وما زالا إلى اليوم محل طلب وإلحاح لجودتهما وهما مصدر عيش أغلب العائلات النَّائليَّة والمسعديَّة خصوصاً ، ويمر صنعهما بمراحل عديـدة وهي:

-1**الإنتقاء** : اِ نتقاء الوبر الخالص من صغار الجمال ويسمى (وبر العقيقه).

-2**التَّنقيـَّةُ** :تنقيته تنقية جيدة مما علق باليد.

-3**المعالجـة**(أ) :ضربه وتحليله بتمريره على آلة تسمى (السَّبْرَاف) لتليينه ، ويسمى المشط أيضا .

-4**المعالجـة (ب)** : ضربه وتحليله مرة أخرى بتمريره على آلة تدعى (الْخَدَّامْ) وجعله قطعاً قطعاً ملفوفة تدعى (الريط).

-5**الغزل** :غزله وجعله على شكل خيوط رقيقة تحضيراً لعملية الحبك.

-6**الحبك** :حبْكُه بتركيب الخيوط المدعمة له (لَقْيَامْ) التي تصفف عمودية لجعل الخيوط المحضرة أفقية متقاطعة معها وتسمى عملية (السُّدْوَهْ)[1].

-7**التركيب** : تركيب الخيوط المدعمة (لَقْيَامْ) على آلة النسج.

-8**النسـج** : وذلك بجعل الخيوط المغزولة بين الخيوط الأفقية متقاطعة معها ودكها بآلة (الْخُلَّالَه) لرصها فوق بعضها البعض رصاً إلى نهاية العملية، مع حك وترطيب كل جزء منسوج حتى النهاية بآلة تسمى (الْكُرْنَافَه).

-9**الخياطة** : عند إتمام عملية النسج يحمل المنسوج (برنوساً أو قشابية) للخياط وهناك يتم الإتفاق على الخياطةِ باليد أو بآلة الخياطة، وذلك حسب المقدرة المادية للابِسِهِ أو لابِسِهَا، – إن كانت قشَّابيةً (جلابيَّةً) – وخياطته باليد أفضل وأجود وأغلى ثمناً.

وعادة ما تكون الخياطة حسب جودة المنسوج أو رغبة صاحبه ، ونشير إلى أن كلا من البرنوس أو

[1]مقابلة مع السيد مبارك بالحاج في إبتدائية أول نوفمبر، يوم 13 ماي في الفترة الصباحية بين العاشرة والحادية عشرة صباحا

القشابيه يتم نسجها بنفس الطريقة، ولا فارق بينهما إلا في المدة حيث يستغرق البرنوس مدةً أطول[1] .

أدوات للنسيج:

الخشب : وهما خشبتان توضعان أفقيا واحدة في الأسفل والأخرى في الأعلى ، وفي طرفي كل واحدة مكان لإدخال المناطه عموديا.

المناطه : ركيزتان عموديتان لرفع وسمك المنسج تثبتان في الأعلى في الخشبه العليا وفي السفل في الخشبه السفلى في مكان خاص بهما في الخشبتين.

الخُلاله :أداة من حديد لضرب ورصِّ و دك الغزل على بعضه.

الصوصيه :أداة شريطية الشكل ، غير مستقيمة ، تستعمل لنسج ورصِّ الشعر المستعمل في تحضير الفليج و هو قطعة من قطع الخيمة.

العفاس :وتد يجعل لشد خشبة المنسج الأفقية بالمناطه ، يدخل في ثقب المناطه ويمر فوق الخشبة الأفية ، ليشدها إلى الأرض ، ويوضع فوق طرفه البارز شئ ثقيل لتبقى الخشبة ثابتة على الأرض.

الكرنافه :آلة خشبية يُحكُّ به المنسوج لترطيبه.

الخَدَّام :آلة ذات دفتين وأنياب ، يعالج به الوبر أو الصوف لتفكيكه ، تسهيلا لعملية غزله ، ويسمى أيضا القرداش.

المقزل :آلة دوّارة لغزل الصوف أو الوبر و جعله على شكل خيوط رقيقة.

المشط (السبراڤ) : آلة لضرب الصوف أو الوبر ، لتسهيل العملية على الخدام الصغير ، فهو أقوى منه وأبرز و أطول أنيابا.

العضاضيات : وهما آلتان بسيطتان ذاتا فتحتين حديديتين في وسط كل منهما خشبة صغيرة، يمسك بهما طرفي المنسوج (قشابية أو برنوسا أو ما ينسج) وذلك بوضع كل طرف داخل الفتحة والضغط عليه بالقطعة الخشبية وتمدد ليوصل خيطهما بالمناطه[2] .

---

[1] مقابلة مع السيد مبارك بالحاج في إبتدائية أول نوفمبر، يوم 13 ماي في الفترة الصباحية بين العاشرة والحادية عشرة صباحا

[2] مقابلة مع السيد مبارك بالحاج في يوم 13 ماي في الفترة المسائية من الثانية زوالا إلى الثالثة و45 د

وللتعرف أكثر على هذا اللباس العربي الأصيل ولتطبيق دراستنا الأنثروبولوجية على هذه العينة من الألبسة أجرينا عديد المقابلات مع أهل الإختصاص من حرفيين وعارضين نعرضها كاملة فيمايلي:

البرنوس الوبري المسعدي : يعتبر من أهم ما تتميز به المدينة حيث تعدت شهرته حدود الوطن فوصل أمريكا ودول الخليج العربي وبعض الدول الأوربية حتى صار رمزا للاهداء الوطني، فكم من مناسبة اهدي البرنوس الوبري المسعدي إلى بعض الرؤساء والملوك والساسة والعلماء فهو يحمل ميزتان : وظيفته كلباس يقي من برد الشتاء وكمظهر للزينة يظفي على الرجل مهابة وجمالا.

–البرنوس أصله كان أبيض مصنوع من الصوف وهو قديم منذ الربعينيات والخمسينيات في وقت القياد إبان العهد الفرنسي وكانت جودة صوفه من سيدي خالد ولاية بسكرة يقولون فلان دار زويجة خالدي (الرقيق من التحت والخشين من الفوق) ويسمى القشرة والبابا.

القشرة والبابا : الفوقاني (من فوق) زكلاهما من اللون الأبيض.

–ثم جاء البرنوس البيدي (الأزرق) من اللون الأزرق ثم جاء البرنوس الأشعل (صوف مصبوغ بالأحمر) وبعدها وفي أواخر الخمسينيات أصبح يخلط الصوف مع الوبر وفي أواخر الخمسينيات كان هناك عائلتان الوحيدتان الذين بدأوا في منطقة مسعد بإنجاز البرنوس الوبري (مومن عبد الجبار) و (حواء بن حسين) وزوجته امباركة بنت السبيع ومنها أصبح الناس يعملون الوبر.

وكانت القشابية آنذاك نادرة الإستعمال لأنها كانت ممنوعة من طرف المستعمر الفرنسي أما الخياطة كانت لعائلة خيري.

ومن الثمانينات كان البرنوس يغلب على المنطقة نسبة 98 % أما اليوم فنجد أنه انقلب الوضع وأصبحت نسبة 99 % ترتدي القشابية لأن الشيوخ الكبار انقرضوا وهم من كانوا يرتدون البرنوس أما الشباب اليوم فلا يعرفون حتى كيف يرتدون البرنوس فهم يرتدون القشابية لأنها سهلة الإرتداء.

كيف ترى اللباس التقليدي الجلفاوي اليوم ؟

–اللباس التقليدي الأصيل انقرض كانت المرأة النائلية ترتدي الخلخال أما اليوم انقرض وكانت ترتدي الصباط المقرون أما الآن انقرض أيضا.

- الخلخال قديم جدا في المنطقة وهو حلي المرأة النائلية أيضا الحذاء المقرون
- البرنوس والقشابية لها تاريخ عريق وفي التسعينيات أنجزت بيدي برنوس للرئيس الراحل صدام حسين
- البرنوس ينسج من 4 أذرع

الذراع الأول يسمى ذراع التقربيص، الذراع الثاني يسمى ذراع التراب،الذراع الثالث يسمى ذراع الخونة الذراع الرابع يسمى ذراع القاسي[1]

[1] مقابلة مع السيد مسبل أحمد، من أقدم الحرفيين في ولاية الجلفة ، يوم 2015/05/15، من 10:00إلى 11:00

وبعد الذراع القاسي تسدى الشاشية أو القبعة بجنب البرنوس وتنسج بـ 50 سم عرضا والطول 1 متر ثم تنتهي الشاشية ويتم إتمام الأذرع السابقة الذكر وتسمى الشاشية هنا بالطربوش.

ويتم إلصاق القمر في مؤخرة الشاشية. والقمر هي خيوط مصنوعة من الحرير تمسك في مؤخرة الشاشية سواء شاشية البرنوس أو القشابية.

–اللحفاية أو العمامة منذ القديم يرتديها الجميع وتاج العرب هي العمامة فلا يوجد منذ القديم هنا في ولاية الجلفة من لا يغطي رأسه بالعمامة خاصة الكباروهذا يحمل بعد اتصالي أيضا ففي القديم كانوا يرتدون 3 قباعات وفوقهم عمامة لأنهم كانوا يخبئون فيهم النقود وكل قطعة يضعونها في جهة معينة مثلا بين الوسطى والشاشية الفوقية يعرف كم وضع فيها لكي يسهل عليه جلب القطعة المناسبة.

–اليوم ونظرا لدخول السلع الصينية ونظرا لثمنها البخس نجد أن عامة الناس أصبحوا يقبلون على شراء البرنوس والقشابية المقلدة أما البرنوس والقشابية الأصيلة والمصنوعة من الوبر الأصيل فهي ليست في متناول الجميع بل فقط من ذوو الدخل العالي[1].

[1] مقابلة مع السيد مسبل أحمد، من أقدم الحرفيين في مدينة مسعد يمتهن حرفة خياطة البرنوس والقشابية من 1957 إلى اليوم. يوم 2015/05/15 من 10:00 إلى 11:00

مختلف الدلالات التي يرمز إليها البرنوس:

- يعتبر البرنوس رمزا للرجولة
- البرنوس يرمز للحماية
- يرتدى البرنوس بكيفيات مختلفة فعندما يمد الشخص جناح البرنوس إلى كتفه اليمنى أو اليسرى دليل على أنه يتأهب للذهاب.
- أيظا عندما يتم وضع كل جناح على حدة يعني أنه يتأهب لعمل شئ ما
- يرتديه العريس وهو رمز رجولته ويجب أن يكون عالما بتقنيات لبسه
- سقوط الجناح دليل على انعدام الرجولة والأصالة
- رمز للهيبة والوقار وهو يرتدى كثيرا من طرف كبار السن وهذا مايعطيهم هيبة وفخر وعزة وكرامة لأنهم يلبسونه بطريقة لايعرفها سواهم وكأنه مخصص فقط لهم
- وكما تكلمنا سابقا على نوعية الوبر التي يصنع منه البرنس والطريقة ففيه إختلاف ونجد البرنس الأغلى يرتدى من طرف أغنياء المنطقة وهذه النوعية واضحة للعيان ومن يرتديه دليل على أنه ذو مكانة عالية
- حاظر في المناسبات خاصة الأعراس والمناسبات المحلية فهو رمز المنطقة
- أيظا البرنوس رمز الرجولة ورمز للسترة فالعروس عندما تزف إلى بيت زوجها تزف تحت جناح برنوس أبيها أو جدها، وجناح البرنوس دليل على الأمان والإطمنن ورمز الحماية كما أشارنا سابقا وهذا فيه بعد إتصالي ويدل هذا على أنها تخرج من حماية والدها ويستقبلها في البيت الزوجية ويدخلها المنزل حماها تحت جناح برنسه أيظا وهذا يدل على أنها في الحفظ والصون وتحت حمايته من اليوم فصاعدا ولازال البرنس إلى يومنا هذا يحظى بهذه الخصوصية وبهذه الأبعاد الإتصالية . [1]

[1] مقابلة مع السيد مسبل أحمد، سبق ذكرها

أيظا كانت لنا بعض اللقاءات الجانبية للتعرف أكثر على خياطة هذا اللباس الأصيل رمز العروبة والشموخ رمز الأجداد وفخر الولاية لنتعرف على الانامل التي أبدعت ولازالت تبدع ليس في نسجه بل خياطته عندما يجهز بحق أنامل ذهبية هذا أقل مايقال لأننا شاهدنا بأم أعيننا ماتنجزه هذه الأنامل في ورشة في سوق ولاية الجلفة إلتقينا بمن يبدع في خياطة رمز الهيبة والوقار" البرنوس" امتهن هذه الحرفة منذ سنة 1973 وكان عمره آنذاك 15 سنة وهي من مواليد عام 1955 وكانت هذه المهنة آنذاك محتكرة من طرف عائلتنا وكنا نعرف بعيال أو عائلة اللعوبي وهو مصطلح أطلقه علينا أبناء المنطقة وكان عندنا محل وسمي باسم محل عيال اللعوبي لأننا نعمل بخفة يد ورجلين رهيبة جدا ونحن ننحدر من مدينة مسعد إلا أننا ومنذ زمن بعيد نقطن بولاية الجلفة.

ورثنا هذه الحرفة أبا عن جد وكنا نمتهنها في المنازل وكانت محتكرة فقط من طرف عائلتنا إلا أنني في سنة 2007 امتهنت بطاقة حرفي وفتحت ورشة خاصة بي من أجل تعليم هذه الحرفة للشباب لكي لا تبقى فقط في محيط عائلتي ولكي نحافظ على هذا الإرث الثمين الذي تركه آباءنا وأجدادنا فبعد حياكة أو نسج البرنوس أو القشابية من طرف النسوة غالبا تأتي مرحلة هامة جدا من مراحل إنجاز هذا النوع من الألبسة وهي "الخياطة" وهي تتطلب معرفة وخبرة كبيرة لأنها لا تقل أهمية عن النسج.

والحمد لله ما لمسته أنه هناك رغبة كبيرة من طرف الفتيان وحتى الفتيات لتعلم هذه الحرفة وإلى حد الآن تعلم على يدي ما يزيد عن 20 عائلة وأنا أعلم هذه المهنة بدون مقابل (أجر) أريد فقط أن نعلم أبناءنا هذه الحرفة التي تكاد تندثر لأنها تتم عبر مراحل خياطة تقليدية يعني لا تتطلب وجود آلات بل فقط مجموعة خيوط يتم تشكيلها في معادلة تتطلب تركيز عالي وهذا ما يجعل الشباب لا يقبل على هذه الحرفة.

*** مراحل عملية الخياطة**

في البداية عندما يأتي الفتى أو الفتاة لأول مرة أطلب منهم برم خيط الحرير حتى يصبح خيط تيال.

خيط تيال : يشبه خيط الفتلة

خيط حرير : مصنوع هذا النوع في الدول الأوروبية يسمى خيط حرير ويتم تلوينه أو برمه كما يصطلح أو يطلق عليه في المنطقة بالبرم يعني يبرموه حتى يصبح على شكل آخر وهو تيال الذي يشبه خيط الفتلة وهو يستخدم في خياطة اللباس الرجالي يعني البرنوس والقشابية. يبرم كل خيط لوحده من جهة حتى تكتمل الخيوط ثم يتم إبرامها بالعكس.

يتم إحضار 3 خيوط تبرم كلها التحت ثم تخلط وتبرم ملها الفوق حتى تصبح خيط واحد.[1]

ثم أيضا من خيط الحرير نصنع خيط البشمار وهو يشترك في إنجازه شخصان حيث يمسك أحدهم أطراف الخيوط (8 خيوط) وتلصق أطراف الخيوط الأخرى في يد الشخص الثاني وتقسم الخي وط إلى 2 ويتم تثبيت كل إثنان بين أطراف الأصابع ويتم برمهم أو تلوينهم في عملية دقيقة وجد صعبة وتتطلب تركيز عالي وتتم عملية الخياطة يالطريقة اليدوية ويتم تمرير كلا النوعين على أطراف البرنوس أو القشابية ثم تمرر بسفيفة أو كما يطلق عليها حاشية وتكون غالبا مرصعة باللون الذهبي.

ويمكن القول أن البرنوس يختلف في الشكل واللون. فبالنسبة للشكل فهناك الطويل والقصير. الأول هو القصير ويسمى "البرينيس" ويصنع من الملف وهو قماش عادي وهو ذو أصل فرنسي لأن الذي ارتداه لأول مرة كان فرنسي قاطن بإفريقيا ومنه جاءت هذه الفكرة يعني فكرة البرنوس لكن ألحقت به إضافات وتعديلات كي يخالف البرينيس الفرنسي ومن ثم أصبح ينجز من الصوف والوبر وتم تطويله وقد أنجز في عدة مدن جزائرية منها منطقة متليلي بغرداية، وادي سوف ثم الجلفة ومنذ ذلك الوقت أصبحت مدينة الجلفة تشتهر بالبرنوس والقشابية. وقد ذاع صيت هذا اللباس وحقق شهرة كبيرة داخل وخارج الولاية وحتى في دول الخارج ونستطيع القول أن ذلك تحقق نوعا ما على يد السيد خيري عبد الحميد والملقب من أحد المواطنين بدكتور جراح يقول سي عبد الحميد أنه لقبه بهذا اللقب لأنني أنجزت عملية تجميلية على برنوسه الذي كان قد اهتر لقدمه لأنه ورثه وهو عزيز عليه كثيرا وحالته كانت مزرية وبه ثقوب كثيرة ومأكول (متيفر) كما يطلق عليه أبناء المنطقة لأنه كانت قد أكلته "دودة التيفرية" وهي حشرة تأكل أشياء الصوف...وفي مدة أربعة أيام عملت على إصلاحه وصدقيني قد تفاجأ بالنتيجة لأنه بدا وكأنه جديد ولم يلبس أبدا.كيف تم ذلك سيد خيري عبد الحميد؟ فتحت السفيفة أو الحاشية المحاطة بالبرنوس وفتحت الكفة ونزعت الطعمة من البرنوس وبها أصلحت كامل البرنوس وقد فرح كثيرا هذا المواطن وهو يسمى بالحاج التواتي ولقبني آنذاك بدكتور جراح.

أيضا لقبتني مستشارة السيد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بدكتور جراح أيضا نظرا بانبهارها بالبرنوس الذي أنجزته لزوجها والذي كان يبحث عن برنوس يناسب جسده والذي كان ضعيفا جدا وقد وجدوا طلبهم عندي وتم ذلك وانبهرت زوجته بهذا البرنوس الذي ظهر فيه بأبهى حلة وقد بعته إياه بـ15 مليون إلا أن زوجته طلبت أن يضيفه ضعف السعر يعني 30 مليون لأن عمله كان متقن ورائع جدا.

أيضا لقبت مؤخرا من طرف السيد جلال العيد الذي كان آنذاك نائب رئيس مصلحة بمديرية الثقافة وهو حاليا مكلف بشؤون المتحف الولائي بولاية الجلفة بـ "عميد الحرفيين" نظرا لحبه لمهنته ورغبته الجامحة وإصراره الدائم على العمل ولا يستطيع أن يبقى دون أن يعمل.

---

1 مقابلة مع السيد خيري عبدالحميد، حرفي في الصناعات التقليدية "البرنوس والقشابية" يوم 2015/05/06 الفترة الصباحية من 11:30 إلى 12:30

وأحد الأجنبيات كانت حلت ضيفة على ولاية الجلفة وكانت قد رأت طريقة عمل السيد خيري عبدالحميد وسمته بالعازف على الآلة الصامته نظرا لتفانيه في العمل لدرجة أنه يعمل دون أن يتكلم.
كان لي مشاركات عديدة داخل وخارج الولاية.
* مشاركتي الأولى كانت في ولاية تبسة وحصلت على الجائزة الثانية كأحسن منتوج.
* مشاركتي الثانية هنا في ولاية الجلفة حصلت على المرتبة الأولى كأحسن خياط في البرنوس والقشابية.
* كرمت من دار الثقافة من طرف السيد جلال العيد في يوم الفنان نظرا لمجهوداتي المبذولة في اللباس التقليدي الرجالي.وقد شاركت مؤخرا في قسنطينة عاصمة الثقافة العربية باللباس الرجالي وكان فيه توافد كبير على هذا اللباس. أيضا كنت قد شاركت بالحذاء أو الصباط التقليدي وهو الصباط الطعبي الذي أثار إعجاب كل من رآه وطلب مني الكثير أن أبعث لهم بهذا الحذاء النادر وقد أعطوني النقود وأنا الآن كلفت أحد المختصين بإنجاز الطلبية[1].

"جمعية أولاد نايل لحماية الآثار وترقية التراث بدائرة مسعد ولاية الجلفة"

تأسست الجمعية في 29 نوفمبر 2009 من أهداف الجمعية :

* الحفاظ على التقاليد النايلية لمنطقة الجلفة

* الحفاظ على المناطق الأثرية والسياحية بالجلفة واكتشافها

* المشاركة مع مختلف الجمعيات من داخل وخارج الولاية من أجل التعريف بالموروث الحضاري والثقافي للمنطقة

* التشهير بما تزخر به المنطقة من صناعات تقليدية

فيما يخص الحرف عندنا البرنوس والقشابية من صنع الرجال والنساء بحيث تتكفل المرأة بتحضير المواد الأولية المتكونة من الوبر والصوف من الجمال والكباش ويختلف الوبر باختلاف نوع الجمال. فالجمل الصغير (المخلول) يكون يقولون له "لعقيقة" وبر يكون ناعم وسهل في التنقية ولونه جميل ومتناسق وفقة ألوان عدة من بينها المشهور هو الأصفر والبني حتى تقريبا يكون مائلا للسواد. أما فيما يخص الجمل أو الناقة وبره عادي ووبره أرخس من المخلول ويكون في نفس الألوان.

وهناك صعوبات في اقتناء المادة الأولية نظرا لتناقص تربية الإبل والإهمال لهذه الثروة أيضا بعد المناطق التي تتربى فيها الجمال مما أدى إلى نقص المادة مما أدى إلى تدخل المادة الصينية في الصناعات التقليدية.فالقشابية والبرنوس الأصلية هي من الوبر الصافي (شعر الجمال) أما فيما يخص المنتوجات الصوفية فيمكن أن يمزج الوبر مع الصوف بعد غسله وتنقيته من الشوائب ويبقى صافي يعالج في آلة تقليدية تسمى بالمشط أو الثنثار كي يبقى صافي وناعم وبعد ذلك يمر على آلة يدوية تسمى القرداش ثم يغزل ليصبح على شكل خيوط وبعد الإنتهاء من هذا يقومون بصبغه حسب اللون المراد الحصول عليه وتكون ألوانا طبيعية خالية من المواد الكيماوية متكونة من الأشجار، العفص، قشرة الرمان، الدوز، الخل، كل هذه المواد للحفاظ على صلابة الصوف. ويوضع الخل وقشور الرمان للحفاظ على اللون.

[1] مقابلة مع السيد خيري عبدالحميد، حرفي في الصناعات التقليدية "البرنوس والقشابية" يوم 2015/05/06 الفترة المسائية من 13:30 إلى 14:30

أما إذا أردنا الحصول على لون رمادي نمزج الصوف الأسود (الدراعة) مع الصوف الأبيض.
وبعد الإنتهاء ن هذه العملية تقوم النسوة بعملية النسج والتي تتم عبر مراحل ثم نقوم بشراء خيط الحرير ويسدى على الأوتاد ثم نقوم بمرحلة النسج.
القشابية والبرنوس منبعهم مسعد.تحديد الطول والعرض،
مقياس الطول والعرض حسب الشخص ويكون في المرحلة الأولى للسدوة
ويكون البرنوس أصعب من القشابية لأنه فيه أجنحة.[1]
أما القشابية تتكون من قطعة واحدة لكن في عملية الخياطة فيه نوعين الجلابية العربي تكون عريضة وبدون جيوب والذراعين قصيرين أما الثاني فهي المروكي أو (القرطاس) تكون ذراعيها طويلة وفيها فتحات (جيوب)[2].
من مواليد 1958 امتهنت هذه الحرفة منذ كان عمرها 15 سنة يعني حوالي 40 سنة. امتهنت هذه الحرفة من والدتها التي كانت محترفة في صنع البرنوس والقشابية وهي مجاهدة عملت في وقت الثورة.
في البداية يتم شراء الوبر وينقى من التراب والشوائب ويستغرق شهرين ثم يثنثروه بمشط كي يتخلط مع بعضه ثم يقردشوه ثم يغزلوه ويكوسروه ويسدوا المنسج ويشارك في ذلك عدة نساء (التويزة).
يطووا القيام في الخشب ويعلق في قلب المنزل وينيروه وتتم البداية بالجناح الأيمن ثم الشاشية ثم الجناح الأيسر هذا فيما يخص البرنوس يأخذ كيلو و 300 إلى 900 غرام أما القشابية نضع فيها رطل و 300 غرام.
قشابية من وبر البعير
قشابية من وبر العراق هو أرخص منتوج في القشابية بين مليون و 3 ملايين وفي البرنوس بين 4 و 5 ملايين وهو رخيص لأنه يأتي مصنوع وجاهز من العراق لذلك يسمى وبر العراق.
وبعده يأتي الأسترالي في القشابية بين مليون ومليون ونصف وأصله من البلاستيك والبرنوس 2 ملايين.
وعندنا قشابية الصوف من النعجة يصبغ ويغسل ويمر بنفس المراحل وسعره ما بين 3 و 4 ملايين في البرنوس والقشابية 2 ملايين لأن الصوف رخيص على الوبر وتصنع منه القشابية البيضاء والبرنوس الأبيض.
أما أغلى قشابية وأغلى برنوس يصنع من وبر العقيقة وسعر البرنوس يصل إلى 20 مليون والقشابية بين 7 و 10 ملايين لأن وبره غالي يصل إلى مليون ونصف للكيلو وهو رطب جدا وصافي من الشوائب وهو أغلى نوع من الوبر وهو يكون من المخلول وهو ابن الناقة. والوبر المخلط والوبر الصافي يختلفان.

[1] مقابلة مع السيد مشلفخ عمر ، رئيس جمعية أولاد نايل لحماية الآثار وترقية التراث بدائرة مسعد ولاية الجلفة، يوم 20/05/2015 من 11:00 إلى 13:00

[2] مقابلة مع السيد مشلفخ عمر ، رئيس جمعية أولاد نايل لحماية الآثار وترقية التراث بدائرة مسعد ولاية الجلفة، يوم 20/05/2015 من 11:00 إلى 13:00

وهي حاليا مشاركة بأغلى برنوس مصنوع بيدها هو في المعرض الجهوي للمرأة الحرفية الذي ينظم تحت رعاية معالي السيدة وزيرة السياحة والصناعة التقليدية ومعالي الوزير المنتدب المكلف بالصناعة التقليدية وتحت إشراف والي ولاية الجلفة بغرفة الصناعة التقليدية والحرف لولاية الجلفة في الفترة ما بين 30 أفريل إلى 05 ماي 2015 والتقينا بها في 04 ماي، وكان سعره وصل إلى 10 ملايين لكنها رفضت بيعه وفضلت أن تغادر به على أن تبيعه بهذا الثمن وذكرت أنها تشترط على الأقل 14 مليون وذلك فقط لأنها مضطرة قليلا[1].

إمتهان حرفة نسيج البرنوس والقشابية:

منذ أن كان عمري 14 سنة أنا أقوم بحياكة البرنوس والقشابية واليوم في عمري 66 سنة ولازلت أمتهن هذه الحرفة وأنا الآن أقوم بعملية تنقية الوبر وهو وبر بعير أنا أقوم بتصفيته حاليا لكي أنسج قشابية من الوبر الخالص وهو من النوع الغالي الثمن وكما ترين فأنا ورغم كبر سني لازلت بصحة جيدة على خلاف جيل اليوم الذي يشتكي من نقص النظر والتعب ونحن نواجه صعوبة في عملية التنقية فلايوجد من يقوم بهذا العمل من غيرنا نحن الكبار وأنا أحب هذه المهنة كثيرا وهي تجارتي الوحيدة التي أعيش منها وهي الحمد لله ماشية يعني كل ماأقوم بنسجه يباع سواء ماأقوم بإنجازه لوحدي أو مايطلب مني نسجه لأنه غالبا النسج يكون حسب الطلب نظرا لصعوبة وظروف إنتاجه بالإظافة إلى غلاء المادة الأولية وغالبا أتعامل مع التجار الذين يقومون بعملية إعادة البيع فأنا أبيعها مثلا بثلاث أو أربع ملايين وتعرض في المحلات بسة ملايين مثلا

*عملية الشراء هل تكون من طرف عامة الناس؟

لا طبعا فالبرنوس اليوم نجده يرتدى فقط من طرف الطبقة الغنية غالبا نظرا للغلاء الذي أطاح بهذا النوع من اللباس سواء فالمادة الأولية أو من ناحية الإنجاز والتي لا تكون إلا من طرف المسنات حتى في عملية التنقية فأصبحنا ندفع النقود حتى يتم تنقية الوبر أو الصوف لنا

والحمد الله ولاية الجلفة ثرية ومحافظة على عاداتها وتقاليدها والبرنوس خاصة لأن القشابية دخيلة عن مجتمعنا ذو قيمة كبيرة لدى أبناء المنطقة وأنا اليوم كما ترين عرضت سلعتي بالمعرض المقام بدار الثقافة بالجلفة وهناك توافد على منتوجاتي والآن بعت قشابية لأحد الوفود التي أتت رفقة وزير من العاصمة بعشرة ملايين وهو سعر رمزي بالنسبة لنوعية الإنجاز المتقنة والوبر الخالص الذي صنعت منه[2].

[1] مقابلة مع السيدة مومن الزينية ، حرفية في القشابية والبرنوس من منطقة مسعد، يوم 2015/05/04 من 15:15 إلى 16:40

[2] مقابلة مع السيدة بن فتاشة عائشة،حرفية في النسيج التقليدي بمنطقة مسعد،يوم 2015/05/05، من 17:00 إلى 17:30

وللتعرف أكثر على هذا اللباس كان لنا عديد اللقاءات الجانبية والتقينا بإحدى السيدات وهي من مواليد سنة 1965 امتهنت هذه الحرفة منذ كان عمر ها 8 سنوات لأن والد ها كان موال وكان يطلب من ها أن ترعى الغنم ولأننا كنا بنات تقول فكان يعاملني كالولد فأنا كنت أنجز أعمال الرجال وكنا في ذلك الوقت نصنع "الفليج" لأنه قديما كان الفليج هو الوحيد الذي يصنع في تلك الفترة وهو الذي تصنع منه الخيمة ولما أصبح في عمري 16 سنة تزوجت وإنتقلت إلى عائلة زوجي وقد صنعت لهم فليج وقد إستغربوه لأنهم غير مختصين فالخيمة بل كانوا يقومون بنسج البرنوس وقد تعلمت عليهم صراحة ومنها احترفت في نسيج البرنوس والقشابية وفي ذلك الوقت كان سعر البرنوس والقشابية رخيص نوعا ما لأن الوبر والمادة الأولية كانت متوفرة لكن حاليا إختلف الوضع[1].

*ونجد أسعار البرنوس مرتفعة كثيرا سؤال طرحناه كثير ودائما تكون الإجابة:
المادة الأولية صراحة غالية جدا فنحن نشتري مثلا 2 كيلو وبر ب خمسة عشرة ألف دينار جزائري لكن عندما نقوم بتنقيته يقل ميزانه فالكيلو بعد التنقية يصبح رطل أو حتى أقل
أيظا في علية التنقية فنحن نستعين بأشخاص وهم بطبيعة الحال لا يقومون بذلك مجانا
أيظا من ناحية النسيج إذا كان فيه جماعة أيظا لذلك الأسعار مرتفعة والإقبال قليل مؤخرا على البرنوس والقشابية ونستطيع القول أنه ومع هذه الأسعار الإقبال فقط كون من ذوو الطبقة الإجتماعية الراقية زمن ذوو النفوذ[2].

[1] مقابلة مع السيدة ناجم ام الخير،حرفية في النسيج التقليدي بمنطقة مسعد، يوم 2015/05/06، من 15:40 إلى 16:00

[2] مقابلة مع السيدة عبدالسلام ربيحة، حرفية في النسيج التقليدي بمنطقة مسعد، يوم 2015/05/06، من 16:50 إلى 17:10

الصباط أو الحذاء المسعدي "بوطعبة"

الحذاء المسعدي (بوطعبة أو المقرون):يعتبر كذلك من أهم الصناعات التقليدية التي تتميز بها البلدية وله خاصية فنية تجعل منه تحفة كثيرا ما رغب السواح قديما في اقتناءه ودفع الأثمان الباهظة فيها، ولكنه الآن حبيس الرفوف لدى الحرفيين . وللتعرف أكثر على أسرار وخبايا هذا الحذاء إلتقينا أحد أقدم حرفيي مدينة مسعد وصاحب محل لصنع الحذاء الطعبي فكانت الإجابة:

*** تاريخ الصباط المسعدي**

توجد عائلة خينش نصبتهم فرنسا قياد كان حاكم منطقة مسعد فرنسي هو الذي أحضر هذا النوع من الصباط من الغرب سمي بالطعبي لأن القبيلة كانت من عرش أولاد طعبة.

كان قبل يسمى صباط بوطعبة لأن تفصيلته كانت مختلفة ومن بعد بوطعبة بومقرون ونقصد به طوله ويلبسه أصحاب الخيالة. ثم جاءت البلقة وهي قصيرة يعني على شكل حذاء عادي ويلبسه عامة الناس (بالوذانات) يعني الجهة الأمامية والجهة الخلفية مرتفعة نوعا ما.

المقرون : بوطعبة علوه يسمى العاقب والجهة الأمامية تسمى المشط ولما يقرنونهم يسمى المقرون.

بوطعبة : الطرحة (السومال) تصنع من جلد الإبل وتسمى الملخة ثم تطور وأصبح يقرن المشط مع العاقب وأصبح يسمى بوطعبة. وعندما يكون العاقب قصيرا يسمى بلقة ويصنع من جلد الماعز.

* النوع الآخر صباط المرأة النائلية يتميز بتنوع الألوان خاصة اللون الأحمر وهو لون تقليدي خاص بالمنطقة المسعدية.

*** نتعرف على مراحل صنع الصباط المسعدي**

نحضر جلد الماعز ويسمى جلد الفيلالي لأن صبغته الحمراء أصلها كانت تأتي من مدينة تافيلالت من مدينة المغرب لذلك سمي بالفيلالي (الصبغة كانت تأتي من المغرب) تصبغ جهة باللون الأحمر الجلد يغسل ويرش بالملح وبالشب ثم نضع له عشبة القلقة كي ينزع الشعر ثم يوضع له العرعار كي يصبح سميك (متين) ولين ثم نضع له الدباقة والتمر (يوضع في الماء ويخلط بالدباقة والزيت) ويوضع على الجلد كي يلين أكثر ويدهن به ويطوى على أربع ويترك لمدة 6 أو 7 أيام ثم يصبغ بصبغة تافيلالت وقبل أن يصبغ تتم تنقيته ثم يوضع في الصبغة ثم يصبح جاهزا للإستعمال.[1]

[1] مقابلة مع السيد دحمان أحمد ، حرفي من مدينة مسعد،2015/05/11، من 10:15ألى10:35

ثم تأتي مرحلة الفصالة التي تبدأ بالورق يفصل على شكل حذاء يتم بها تفصيل الجلد ثم نضع له البطان والذي يصنع من جلد الغنم (النعجة) ويوضع من الجهة الداخلية ،الغراء والمتكون من الفرينة والماء (نضع الفرينة في الماء لمدة 4 أو 5 دقائق) ثم يلصق بها البطان مع الجلد الخارجي ثم يتنفد أو يشبح بالسير وهو الجلد مقطع شرائح رقيقة يوضع بأداة ثقب الجلد اليشفة ثم يمرر على الطابع وهو أداة تسخن فوق النار وتمرر على الجلد لتزيين الحذاء من الخارج ثم تتم عملية الخياطة ثم يوضع في القالب وبعد الإنجاز يسمى النهائي التيج ويتم وضعه على القالب ثم توضع الطرحة التي تصنع من جلد البقر من البلاستيك وتسمر أو تخيط.[1]

يحمل الحذاء أو الصباط المسعدي"بوطعبة" عديد الدلالات منها:

- يعتبر ذا بعد حضاري وثقافي يرمز للأصالة.
- هو منتوج محلي خالص خاص بالمنطقة.
- طريقة صنعه تختلف عن باقي الأحذية وهذا مايجعله مميز.
- يرمز إلى تمسك النايلي خصوصا والجلفاوي عموما بعاداته وتقاليده وبما تركه له أجداده.
- كل مايلمسه يمرر بعد اتصالي وهو انه متمسك بالعادات والتقاليد أيظا ينسب إلى منطقة مسعد وهي موطن هذا الحذاء في حين لايرتدى في المناطق الأخرى من الولاية فكل من يرتدي هذا الحذاء مباشرة يدل على أنه من منطقة مسعد.
- عزوف أبناء المنطقة على إرتداء هذا النوع من الأحذية لأنه في رأييهم خاص فقط بكبار السن لأنه ومع التطور الحاصل في اللباس لايستطيعون ارتدائه.
- يعتبر لباس مناسباتي ويجب أن يرافق البرنوس أوالقشابية للرجال والملحفة أو الروبة العربي للنساء وهذا يبعث رسالة ضمنية مفادها أنهم لازالو يتمسكون بالعادات والتقاليد.

هكذا يصبح الحذاء المسعدي جاهز للإرتداء سعره يتراوح بين 2000 ، 3000 حتى 4000 دج والإقبال عليه قليل من أبناء المنطقة لكن يقبل عليه السواح بكثرة لأنها نوعية مختلفة ونادرة وهو لا يرتدى من أبناء المنطقة لأنه لا توجد ثقافة سياحية وهو يعتبر أحسن صباط على الإطلاق بالمقارنة مع ولايات ودول أخرى لأن لباسنا محبوب ولديه ميزة خاصة وله شهرة عالمية ويرتدى من طرف ملوك وزعماء مختلف الدول كصدام حسين الذي يرتدي البرنوس والصباط والذي قدم له كهدية[2].

---

1 مقابلة مع السيد دحمان أحمد، حرفي من مدينة مسعد، يمتهن صناعة الأحذية ودباغة الجلود،يوم 11 ماي، من 10:35إلى 11:21

[2] مقابلة مع السيد دحمان أحمد، حرفي في مدينة مسعد يمتهن صناعة الأحذية التقليدية ودباغة الجلود. يومَ 2015/05/11 من 12:45 إلى 12:15

الملحفة كما تسمى في ولاية الجلفة وهي تشبه لحد كبير الحايك:

الحايك أوالملحفة لباس تقليدي كان يرتدى قديما من طرف النساء المسافرات مسافة بعيدة فهو يستر الجسد كليتا وكان له أهدافه في إرتدائه ولم يكن هذا اللباس يتخذ طابعا دينيا بل كان يلبس لإضفاء نوع من الستر وهو عبارة عن قطعة قماش بيضاء تغطي الجسم كلية، ويصطلح عليه لدى أبناء المنطقة بوعوينة هولباس مشهور في ولاية الجلفة كان يرتدى بكثرة قديما من طرف الكبار والصغار لكن اليوم ومع التطور الحاصل والموضة فأصبح مقتصر على الكبيرات في سن ومن خلال مالاحظناه وأيظا عند إحتكاكنا ببعض كبريات المنطقة فلازالت بعض النسوة من لم تنزعه ليومنا هذا بمناسبة أو بدون مناسبة فهو كما ذكرت لنا إحدى العجائز رمز الحشمة تقول لاأستطيع أن أنزعه فهو يغطي كامل جسدي ومريح وملائم خاصة في الصيف وأنا صراحة لو أرتدي شئ آخر أحس وكأنني تجردت من لباسي ،كنا نتكلم عن هذا اللباس لكنني كنت أود أن أتعرف عن دلالات هذا اللباس والمكانة الإتصالية له في مجتمعنا هناك من قالت أنه يرمز للمرأة المتزوجة وهناك من قال أنه يدل على أن تلك المرأة مسنة، كانت تختلف الإجابات لكن عندما بحثنا عن أصل هذا اللباس وجدناه أنه تشترك فيه شعوب كثيرة لكن هناك فقط إختلافات ممكن في اللون أو طرقة ارتدائه، لكن مالاحظناه طوال فترة الدراسة من خلال التجول في الشوارع ومن خلال المكوث بالمحلات أن هذا اللباس غير منتشر بكثرة فقلما نصادف امرأة ترتديها في الشارع لكن رغم هذا فلازالت موجودة وهذا ماأكده لنا صاحب أحد محلات بيع الملابس التقليدية بقوله :" "إن ارتداء الملحفة بشكل محدود افضل من ان تختفي كليا من الوجود في الجلفة."

ومن خلال ما استخلصناه من هذا اللباس وأيظا ممالاحظناه فالمرأة التي ترتدي الملحفة على شكل بوعوينة وهذا الغالب في المنطقة لايمكن التكلم معها في الشارع بأي شكل من الأشكال، وهذا يحمل أولا: بعد ديني فديننا يحث على عدم محادثة النساء في الشوارع وصوت المرأة عورة في حد ذاته وهذا مايدل على التمسك بالدين.

ثانيا: البعد الثقافي والحضاري: فالنساء لازلن يلتزمن بالثقافة الشعبة الأصلية

أيظا بعد اتصالي يكمن في االحياء والحشمة [1]

[1] أحاديث مع النسوة وبعض أصحاب المحلات

الملحفة النايلية ...زي الجلفاوية الأصيل

الملحفة هي اللباس التقليدي المتداول منذ قديم الزمان في منطقة الجلفة ، تميزت الملحفة النايلية بطولها و فضفضتها اللذان يخفيان مفاتن المرأة مع الحفاظ على أناقتها و أنوثتها ، لكن الملحفة عرفت تطورا كبيرا و بالتالي أصبحت تضاهي الأزياء التقليدية في العديد من المناسبات و الأعراس الجلفاوية

الملحفة ما هي إلا عنوان شامل لعدة أزياء نايلية تقليدية لكل منها اسم خاص ومناسبة خاصة بها كذلك الحلي الخاص بها ، فالملحفة النايلية لابد أن تسايرها الحلي الفضية ، من خلخال و ذوادي و البزيمة ، المشرف الخامسة أو الخمسة ، المقاوييس ، إضافة إلى الخلال و الدرق كنوع من الحلي التي تضعها المرأة النايلية لكي تمسك الحولي الأبيض مثل المدور الفضي المعروف في المنطقة ، أما العبروق (عمامة الرأس) فإن النايلية تزينه بالناصية أعلى الظفائر الطويلة التي تتميز بها

الملحفة هي لباس تقليدي مصنوع يدويا من طرف أنامل المرأة في منطقة الجلفة ، يتكون من جزئين الجزء العلوي يكون أقصر من الجزء السفلي الطويل جداً ، عادة ما تكون الملحفة بيضاء دلالة على الصفاء و الطهارة للنايلية .

إن الحولي الأبيض زي من صنع المرأة النايلية فهو لباسها و زينتها الذي جاء على حسب طبيعة البيئة التي عاشت فيها ، حيث يرمز للحشمة و الأنوثة ، زينت الحولي و هو قطعة من القماش الشفاف يكون أبيض اللون و قد نجد فيه أحيانا جوانب من القماش الأسود (السفيفة)

أما العبروق هو عبارة عن غطاء للرأس ، يلف الجزء الأخير حول الرقبة ، و يبلغ طوله حوالي 4 أمتار ، يكون أبيض اللون في أغلب الأحيان ، كما انه يخص المرأة الكبيرة ، يسمى أيضاً الحواط أو الزمالة لكن باختلاف الألوان .

وللتفصيل أكثر سألنا إحدى السيدات على هذا اللباس فكانت الإجابة:

–من القديم ترتدى الملحفة في ولاية الجلفة وتصحب دائما بالبثرور وهو يستخدم كحزام والحزام دليل العمل والنشاط فهي تظبط الجزء السفلي للملحفة والتي هي عبارة عن قطعة قماش تفوق 20 ذراع على حسب القد من قماش بسيط سواء يكون بالأزهار أو يكون عادي أبيض أو أسود يعني في القديم كان مزهر أما الآن فهناك الأبيض والأسود ويتم إحضار السفيفة ويقسم القماش على ثلاثة الوسطى يسمى المهر يكون لونه مقلوب[1]

[1] أحاديث مع النسوة

الحجر والعبون

الحجر يكون من الفوق (يبسط من الفوق) ويلصق فيه العبون من التحت العبون من الفوق ومن الداخل المهر والحجر في الأسفل والعبون يوضع فيه طفل المرأة ويحزم في الوسط بالبثرور والذي يصنع من الصوف بعد صبغه ثم يقردشوه ويغزلوه ثم يظفروه ثم يكرمصوه يعني يختم بشكل كرموصة أو النواشة وهي مجموعة خيوط ويوضع فوق الملحفة الخمري وهو ضروري وهو نسيج كالبرنوس والقشابية وتكون فيه متر واحد ويوضع على الظهر.

ويوجد الدير وهو قطعة قماش تلصق في الملحفة من الظهر في الكتفين وتعلق به سرتان وتسمى كرامس توضع واحدة من اليمين وأخرى على اليساروتملأ بقمح، عروق الريحة (قرنفل) وعنبر وتخلط وتعطي راحة زكية وتعلق بها أيضا مرآة وكحل ويعصب الشعر بمنديل أحمر وتوضع فوقه الزمالة وتمسك بالمدور على الصدر وتشد في الرأس بالعمامة.

ونجد الملحفة التي تتكون من الشد يعني العصابة والحولي والخمري الذي يكون غالبا من اللون الأحمر والأسود وهذا اللون لم يكن بمحض الصدفة وإنما هو رمز خيمة أولاد نايل ويتبع هذا اللباس بحلي من الفضة والمتمثل في الخلخال والمدور والسخاب الذي هو عبارة عن عقد يصنع من مواد طبيعية تعطي رائحة عطرة. وتعتبر الملحفة أقدم من الجبة النايلية وكانت ترتدى من قبل النساء الكبار من قماش بسيط مزهر يعبر عن بساطة وأصالة المرأة النايلية ثم تطور هذا النوع من اللباس وأضيفت له لبسة عصرية وتغيرت ألوانه وأصبح يرتدى من طرف الكبار والصغار[1].

ولنتعرف أو نغوص أكثر في بعض الألبسة الشهيرة في الجلفة ونحن نجوب أرجاء المنطقة جذبتنا فساتين متنوعة الأشكال والأنواع فأردنا أن نتعرف على هذه الإختلافات ووجدنا صاحبة المحل إمرأة وكانت منهمكة في الخياطة لكن رغم هذا إستقبلتنا وسألنها عن سر هذا التنوع في الفستان النايلي فكانت الإجابة:*الجبة أو الفستان النايلي لباس أصلي يعبر عن أصالة المراة في ولاية الجلف ة و كان الفستان النايلي التقليدي عبارة عن زي بسيط ويكون بدون أكمام وجناح دائر حول الكتف والصدر أو مايصطلح عليه البرينس وكان يحمل دلالة رمزية فهو يرمز لأصالة المرأة النايلية وكان يرتدى من طرف المسنات كثيرا وحتى العرائس لأنه لباس أصلي توارثناه عن أجدادنا وكنا نفتخر بهذه الخياطة البسيطة للفستان النايلي...فهو رمز الأصالة والعراقة والدليل أنه يحمل هيبة لوقتنا هذا ولم تتغير تفصيلته على الأقل لدى أمهاتنا الكبيرات في السن إلا أنه ومنذ زمن بعيد أدخلت عليه الكثير من التعديلات والإظافات وهي بطبيعة الحال تمس الجيل الجديد كما نجد أن وسال الإعلام لها دخل كبير في هذا التغيير الذي طرأ على الفستان النايلي من خلال مختلف المسلسلات سواء المكسيكية أو التركية التي ساهمت في إحداث تغيير على هذا اللباس بداية من المسلسل المكسيكي أو الغجري "كسندرا" من خلال الفساتين التي كانت

[1] مقابلة مع السيدة فاطنة النفطي ، حرفية في النسيج التقليدي من منطقة مسعد، يوم 2015/05/04 من 11:45 إلى 13:30

ترتدى من طرف بطلات مسلسل "كسندرا" آنذاك ففي ذلك الوقت سميت خياطة الفستان النايلي بالخياطة الغجرية وأحدثت هذه الخياطة شهرة كبيرة لدى المجتمع الجلفاوي وأصبح الجميع يبهره هذا النوع من اللباس وهو عبارة عن تغيير بسيط على الفستان النايلي الأصلي الذي أصبح قريبا من الخياطة الغجرية مع تغيير في الشكل واللون، ومن الخياطة الغجرية جاءت خياطة "نايلي حريم السلطان" وهو مستوحى من المسلسل التركي "حريم السلطان" فقد إستحوذ هذا المسلسل على عقول متتبعاته الذين وجدوا في لباس حريم السلطان تفصيل يشبه تفصيل الفستان النايلي مع اختلاف في طريقة الخياطة فهو يكون بأكمام جد طويلة وبدون جناح أو برنوس وبديكور وألوان جميلة من أحجار وغيرها.

وبعد حريم السلطان نجد خياطة "الفراشة" وهي تحمل نفس خياطة النايلي الأصلي لكن بأكمام وأجنحة جد طويلة ومزركشة وبأحجار كريمة وتلصق الأجنحة التي هي بطرف الأكمام بالظهر وتمسك بممسك أو بروش والشكل النهائي يعطي شكل الفراشة وهذه الخياطة هي المعتمدة حاليا وبصفتي خياطة تقول خديجة نادرا مايطلب مني خياطة فستان نايلي تقليدي عادي بل أغلبهم يطلبون الخياطة العصرية إلا وأنه وفي رأيي ورغم التعديلات التي طرأت على الفستان النايلي التقليدي الأصيل إلا أنه يضل أفظل نوع ويعبر عن أصالة المرأة في ولاية الجلفة وهو يرتدى كثيرا من طرف النساء الكبيرات في السن فهن يحافظن على هذه الخياطة التقليدية إلى يومنا هذا[1].

[1] مقابلة مع الآنسة خديجة بوزيدي، خياطة محترفة وصاحبة محل خياطة الفستان النايلي بولاية الجلفة، يوم 2015/05/07، من الساعة 14:35إلى 15:15